الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعة أحمد دراية أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ

السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر في المجال الديني

(1830-1900م)

نازلة الاستعمار أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ. تخصص : تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبين :

محمد كنتاوي

عبد الله الجوزي

إشراف الدكتور:

أحمد بوسعيد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ.د/ مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. أحمد بوسعيد	محاضر "أ"	مشرفا ومقررًا
د. عبد الله بابا	محاضر "أ"	مناقشا

السنة الجامعية :1443/1442هـ- 2022/2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أحمد دراية- أدرار
المكتبة المركزية
مصلحة البحث البيليوغرافي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University Ahmed Draia of Adrar
The central library

شهادة الترخيص بالإيداع

انا الأستاذ(ة): بوسعيد أحمد

المشرف مذكرة الماستر الموسومة بـ: السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر في المجال الديني 1900-1830 نموذجا
ثورة الاستعمار نموذجا

من إنجاز الطالب(ة): كساوي محمد

و الطالب(ة): الحوري عبد الله

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم : العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ المغرب الحربي المعاصر

تاريخ تقييم / مناقشة: 2022/07/28م

أشهد ان الطلبة قد قاموا بالتعديلات والتصحيحات المطلوبة من طرف لجنة التقييم / المناقشة، وان المطابقة بين النسخة الورقية والإلكترونية استوفت جميع شروطها.
وبإمكانهم إيداع النسخ الورقية (02) والاليكترونية (PDF).

- امضاء المشرف:

ادرار في: 2022/06/23

مساعد رئيس القسم:

مساعد رئيس قسم العلوم الإنسانية
مكلف بالتدريس والتعليم في التدرج
د. حالة خديجة

جامعة أدرار * كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية
رئيس قسم العلوم الإنسانية

ملاحظة :لاتقبل أي شهادة بدون التوقيع والمصادقة.

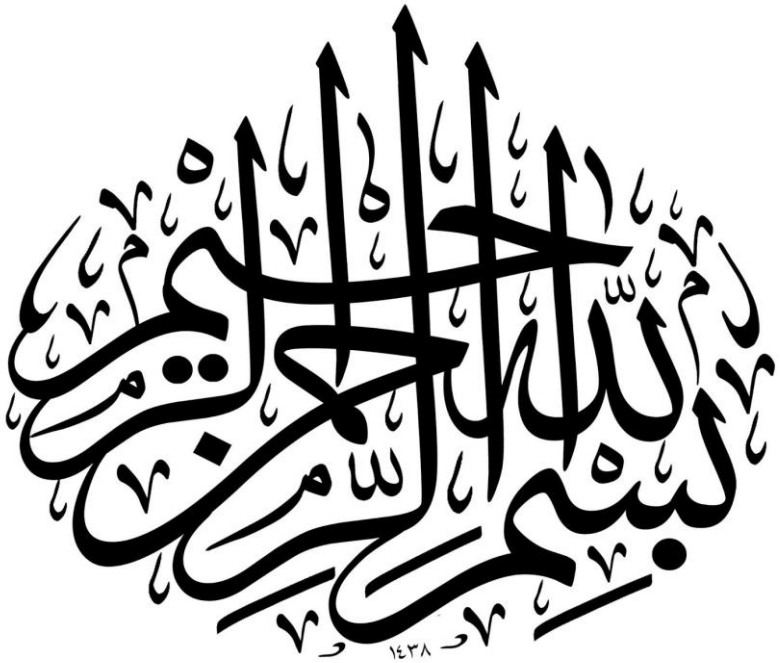
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

إهداء . . .

نـهدي هذا العمل المتواضع إلى والدينا

.. من أضاء لنا درب الحياة ومنهم تعلمنا كيف نتقدم بخطوات ثابتة في سبيل النجاح وبإرادة وعزم .

عسى أن يكون في ميزان حسناتهم بارك الله في أعمارهم

إلى الأهل وكافة والأقارب

إلى كل من قدم لنا يد العون حتى بالدعاء

إلى أساتذة قسم العلوم الإنسانية بجامعة أدرار

محمد كنتاوي وعبد الله الجوزي

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا وتفضّل علينا، ليبلونا أنشكر أم نكفر؛

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وندعوك اللهم أن تحشرنا في أمة سيدنا محمد علية الصلاة والسلام وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

إلى أستاذنا القدير المشرف الدكتور أحمد بوسعيد، الذي لم يتوان لحظة في تقديم النصح والعون والدعم المعرفي والمعنوي حتى يخرج البحث في أبهى حلّة، فهو من فضل الله علينا وعلى هذا البحث، جزاه الله عنا خيرا إلى يوم الدين.

مقدمة

مقدمـة:

تميزت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة ما بين **(1830-1900م)** بمنظوماتها المختلفة، الدينية، القضائية، التعليمية، الرامية إلى طمس هوية المجتمع الجزائري المسلم في إطار فرنسة الجزائر مجتمعا ومؤسسات وإزالة كل ماله علاقة بالهوية العربية المسلمة، وقد ارتكز اهتمام السلطات الاستعمارية في العقود الأولى من الاحتلال على الاستيلاء على المقدسات الدينية من مساجد وزوايا وأوقاف في كل المناطق، فقد أدركت فرنسا منذ الوهلة الأولى أن السيطرة على مثل هذه المقدسات تعني السيطرة على الشعب، وفي هذا السياق اعتمدت السياسة الاستعمارية على توظيف النوازل والفتاوى الفقهية في التصدي لكل ما من شأنه أن يعيق مشروعها التوسعي الاستعماري، وإشاعة هذه الفتاوى بين المسلمين الجزائريين للرضوخ والرضى بسياسة الأمر الواقع وبأن الاستعمار قضاء وقدر، بل أن محاربته تعد تهلكه ينهى عنها الدين.

وأمام هذه السياسة الفرنسية المتعجرفة، كان للمؤسسات الدينية من زوايا ومساجد دور كبير في التصدي لها، فهي لم تكن أماكن للعبادة فقط بل كانت مراكز إسلامية للتربية والتعليم والوقوف ضد السياسة الاستعمارية الهادفة لتنصير المجتمع الجزائري وطمس معالم الهوية.

02- تحديد الموضوع:

يتناول الموضوع جانبا من جوانب السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الديني بالجزائر متمثلا في توظيف النوازل الفقهية خدمة للمشروع الاستعماري من سنة 1830 إلى سنة 1900، حيث تعتبر هذه الفترة من أصعب الفترات في تاريخ الجزائر المستعمرة، فقد شهدت ممارسات وسياسات جائرة تهدف جميع إلى طمس معالم الهوية الجزائرية والقضاء على الدين الإسلامي، وفرنسة الجزائر على كافة الأصعدة، كما تميزت أيضا بالمقاومات الشعبية الرافضة لمشروع الاستعماري.

03- دواعي اختيار الموضوع:

إن اختيارنا لهذا الموضوع يرجع لعدة جوانب منها:

- ✓ التعرف على هذه السياسة الاستعمارية التي جندت لها فرنسا كل إمكاناتها والتي كان لها بالغ الأثر في هوية المجتمع الجزائري.
- ✓ إبراز جهود قادة الاحتلال الفرنسي بالجزائر في خدمة هذه السياسة من خلال محاولات التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية وتوظيف الفتوى خدمة للسياسة الاستعمارية.
- ✓ تسليط الضوء على الدور الكبير الذي لعبته الزوايا والمساجد وقادة المقاومة في التصدي للسياسة الاستعمارية
- ✓ الاهتمام بدراسة التاريخ الوطني خلال الفترة الاستعمارية وأوضاع الجزائر خلالها.

4- أهمية وأهداف الدراسة:

تتجلى أهمية الموضوع في أنه يسلط الضوء على أهم الممارسات الاستعمارية غداة الاحتلال الفرنسي للجزائر وتركيزها على استهداف الهوية الجزائرية وكيف حاولت فرنسا بشتى الأساليب السيطرة على المقدسات واختراقها وتوظيف النوازل الفقهية والفتاوى لإخضاع الشعب الجزائري واستسلامه، وبالمقابل يبرز الموضوع الدور الذي لعبته المؤسسات الدينية وقادة المقاومة والعلماء في مجابهة السياسة الاستعمارية والدفاع عن المقدسات ودحر ودحض نوازل الاستعمار والفتاوى التي تمجده وتهيئ له الطريق، وتبيان أحكام الشريعة الإسلامية الحقة بخصوص هذه النازلة، وما يجب على المسلمين تجاهها.

05- الإشكالية:

حاولنا من خلال دراستنا للموضوع الإجابة عن إشكالية جوهرية تتمحور حول ماهية سياسات الاستعمار الفرنسي الرامية لبسط نفوذه على الأرض وتقويض كل مقاومة

باستغلال الحيز الديني في حياة الجزائريين من خلال توظيف النازلة والفتوى الدينية في خدمة مشروعه التوسعي، وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ✓ ما هي أبرز ملامح السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الدينية؟
- ✓ إلى أي مدى نجحت هذه السياسة في استهداف المؤسسات والرموز وفي التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية ؟
- ✓ كيف وظفت فرنسا النوازل الفقهية في تنفيذ سياستها الاستعمارية والسيطرة وإخضاع الجزائريين ؟
- ✓ ما هو موقف العلماء وزعماء المقاومة وما دورهم في مواجهة نازلة الاستعمار؟
- ✓ هل نجحت فرنسا في توظيف النازلة في مشروع التوسع الفرنسي بالجنوب الجزائري ؟

06- المنهج المتبع:

لتناول هذا الموضوع ودراسته حاولنا التوفيق بين عدة مناهج، من بينها:

المنهج التاريخي القائم على التحليل والاستنتاج، وذلك من خلال تتبع مجريات الإحداث، وقد راعينا في ذلك التسلسل المنطقي للإحداث التاريخية.

المنهج الوصفي: بذكر أهم الأحداث التاريخية بزمانها ومكانها من خلال وصف الأساليب والممارسات المستعملة لفرض السياسة الاستعمارية.

01- الخطة:

للإلمام بالموضوع من كل الجوانب، وتسهيلا لدراسته وللإجابة على الإشكاليات المطروحة، قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثلاث فصول تندرج تحتها عدة مباحث، وقد جاءت على النحو الآتي:

الفصل الأول: يتحدث عن ملامح السياسة الاستعمارية في المجال الديني بالجزائر، وقد قسم إلى ثلاث مباحث، الأول تناولنا فيه استهداف المؤسسات والرموز الدينية، والثاني تحدثنا فيه

عن سياسة التنصير التي انتهجتها فرنسا لمحاربة الدين الإسلامي، والثالث يتحدث عن سياسة فرنسا في ممارسات الاستعمار في التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية كقضية قدرية الاستعمار وادعاء فرنسا بحماية الدين الإسلامي.

أما **الفصل الثاني**، فخصصناه لمساعي فرنسا في توظيف نازلة الاستعمار في بداية الاحتلال لمواجهة المقاومة في بداية الاحتلال، وينقسم إلى ثلاث مباحث، الأول حول سياسات الجنرال بيجو في المجال الديني، والثاني جول توظيف نازلة الاستعمار في مهمة ليون روش، أما المبحث الثالث، فيتناول مقاومة الأمير عبد القادر ومراسلاته لعلماء المسلمين ودور ذلك في مواجهة نازلة الاستعمار.

الفصل الثالث: يتناول هذا الفصل محاولات الاستعمار الفرنسي لتوظيف النازلة في مشروعه التوسعي بالجنوب الجزائري، وذلك وفق ثلاث مباحث، الأول تحدثنا فيه عن استغلال الطرق الصوفية لخدمة التوسع، أما المبحث الثاني فقد تعرضنا فيه لنازلة منطقة قورارة 1839 بالجنوب الجزائري، من حيث المضمون والظروف، وفي الأخير يتناول المبحث الثالث أثر النازلة على سكان المنطقة وعلى المقاومة الشعبية بالجنوب الجزائري خصوصا.

08- الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات التاريخية، السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الديني بالجزائر، إلا أنها في معظمها كانت دراسات شاملة لكل الجوانب وقليل منها تطرق إلى قضية النوازل وتوظيفها من قبل الاستعمار، ومن بين هذه الدراسات، كتاب بعنوان: النوازل الفقهية والتاريخ، إمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل الجزائريين، لـ عمر بلبشير، نجد أيضا أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان النوازل المتعلقة بجهاد الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي جمعا ودراسة، للطالب أولاد حمادي عبد الجليل، ومن بين الكتب التي تطرقت إلى مسألة النوازل كتاب أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، لـ صالح عبد اللطيف محمد.

09- أهم المصادر والمراجع:

تم الاعتماد في هاته المذكرة على العديد من المراجع والمصادر بالإضافة إلى مقالات وجرائد ومحاضرات، نذكر منها على الخصوص:

أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900 ط1

خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871،

رشيد بلّيل: قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية،

محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات،

يحيى بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي

أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي

مولاي أحمد الطاهري:نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعاملين والثقات

يوسف مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1847.1832

محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر

عمر بلبشير: النوازل الفقهية والتاريخ إمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل **الجزائريين**، ط1 النشر الجامعي الجديد

المهدي تيطافي: منطقة توات تقاوم الجنرال سارفيال وقواته الاحتلالية، مجلة النخلة، ع02

عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي: ذاكرة الماضي في تاريخ اولاد القاضي

10- الصعوبات:

أثناء إعداد هذا البحث المتواضع، واجهتنا عدة صعوبات من بينها:

- ✓ عمق الموضوع وكونه بحث في واحدة من السياسات الفرنسية الهمجية المنتهجة في الجزائر.
- ✓ غياب الإحصائيات الدقيقة التي تكشف لنا عن حجم المؤسسات الدينية من زوايا ومساجد، وغيرها من المقدسات التي تعرضت للتخريب
- ✓ قلة الدراسات التي تتناول موضوع، خصوصا ما تعلق بتوظيف نازلة الاستعمار بمنطقة الجنوب الجزائري.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر أستاذنا المشرف الدكتور **أحمد بوسعيد** على توجيهاته وإرشاداته التي كانت لنا نبراسا في طريق البحث وكان لنا عونا بعد الله سبحانه وتعالى، فجزاه الله عنا كل خير وجعل ذلك في ميزان حسناته، والله المستعان.

الطالبان: محمد كنتاوي / عبد الله الجوزي

20/04/2022

الفصل الأول:

ملامح السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر دينيا:

- المبحث الأول: استهداف المؤسسات والرموز الدينية
- المبحث الثاني: سياسة التنصير ومحاربة الدين الإسلامي
- المبحث الثالث: التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية

المبحث الأول: استهداف المؤسسات والرموز الدينية

منذ الوهلة الأولى قامت فرنسا بالاعتداء على مؤسسات الدين الإسلامي من مساجد وأوقاف ومدارس، رغم الاتفاقية المبرمة بين الداي حسين حاكم الجزائر والجنرال دي بورمون قائد الحملة الفرنسية. حيث جاء في الفصل الخامس من هذه الاتفاقية ما يلي " إقامة الشعائر المحمدية تكون حرة ولا يقع المساس بحرية السكان في مختلف الطبقات. ولا بدينهم ولا بأملاكهم والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف " لكن الحقيقية هذه الاتفاقية لم تحترم وظلت حبر على ورق[1]، وطبقت فرنسا استراتيجيتها في محاربة الدين الاسلامي ومقومات الشخصية الوطنية، ومن بين المؤسسات التي تعرضت إلى التدنيس الفرنسي ما يلي:

1 المساجد: سعت فرنسا منذ الأيام الأولى لاحتلال الجزائر إلى المساجد فدمرت بعضها وحولت بعضها إلى كنائس بحجة إقامة الشعائر المسيحية بها[2]، وأخرى هدمت منذ الوهلة الأولى أو أعطيت لمصالح عسكرية ومدنية، ثم بعد ذلك هدمت في تواريخ لاحقة حيث لم يتجاوز عدد المساجد التي بقيت في الخدمة الإسلامية حسب إحصاء 1899م سوى خمسة مساجد من أصل 176 مسجدا[3] التي كانت في حالة نشاط، وهذه المساجد هي: الجامع الكبير، الجامع الجديد، جامع سيدي رمضان، جامع سفير (صفر)، جامع عبدي باشا، أما المساجد التي حولت إلى كنائس هي: جامع القصبة (أصبح كنيسة الصليب المقدس) وقد تغير شكله كثيرا، جامع بتشين (أصبح كنيسة سيدة النصر) أيضا تغير شكله الأصلي كثيرا، وجامع كتشاوة (أصبح كاتدرائية للسياسة، للديانة المسيحية)[4]، وقد وقعت له

---

[1]- عبد القادر خليفي، "سياسة التنصير في الجزائر"، مجلة المصادر العدد 9 السداسي الأول، الجزائر 2004 ص 132.

[2]- عميراوي احميدة، وزاوية سليم، وقاصري محمد السعيد، السياسة الفرنسية بالصحراء الجزائرية 1844-1916 دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 2009 ص 106.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1992 ج1. ص82.

[4]- ربح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، موفم للنشر الجزائر. 2001 ص237.

تغيرات داخلية جذرية أيضا لتحويله من الإسلام إلى المسيحية ولكن مظهره الخارجي بقي كما كان ولقد تم تحويل هذا المسجد في عهد الدوق دوروفيقو[1]، وهناك مسجد القائد علي الذي أعطي إلى جمعية (أخوات القديس جوزيف)[2].

انطفأ الإشعاع الديني من المساجد التي هدمت وتلك التي حولت لخدمة المصالح العسكرية والمدنية، في حين أصبحت المساجد والأوقاف تابعة للكنيسة في خدمة العمل التنصيري المرتبط بالاحتلال الفرنسي وسياسة الاستعمار.

2-المدارس القرآنية والزوايا:

يذكر في هذا الصدد أن الهدم الذي أصاب المساجد أصاب أيضا وبالتبعية المدارس الملحقة بها[3]، فقد أعلنت فرنسا حربها على الزوايا التي كانت من أهم المؤسسات التي تقوم على تحفيظ كتاب الله، وتلقين بعض العلوم الشرعية، بالإضافة إلى دورها في مجال العبادة وفي المجال الاجتماعي كانت كثيرا ما تقدم خدمات إلى العجزة و الغرباء من عابري السبيل،[4]ومن الزوايا التي تعرضت للهدم أو البيع أو الحيازة، من قبل المصالح العسكرية و المدنية في بداية الاحتلال، زاوية القشاش إذ كان مصيرها مصير الجامع والمدرسة التي تحمل نفس الاسم، وزاوية سيدي الجودي، التي بيعت لأحد الأوربيين، وكذلك زاوي يوب، وزاوية الشرفة، وزاوية الشبارلية التي أعطية للدرك عام 1830م[5]، وزاوية شختون، التي تحولت إلى ثكنة عسكرية ثم أصبحت مستشفى عسكري، وزاوية الصباغين والمقايسية التي هدمت مع الجامع، وقد جرى للقباب والأضرحة التي كان معظمها جهة باب الواد وباب عزون مثل ما حدث للمؤسسات الأخرى (مساجد، مدارس، زوايا).

كما أقدمت فرنسا في هذا المجال على إغلاق المدارس العربية الإسلامية والاستيلاء على المعاهد الدينية التي كانت قائمة قبل الاحتلال، ومحاربة اللغة العربية والتضييق على

[1] – خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، الجزائر 1997م، ص32.

[2] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص82.

[3] – المرجع نفسه، ص84.

[4] رابح تركي عمامرة، المرجع السابق، ص 237.

[5] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص85.

مدرسيها، وغير ذلك من الأمور التي كانت تهدد الديانة الإسلامية[1]،وبذلك عملت فرنسا جاهدة للقضاء على كل مظاهر الثقافة العربية الاسلامية من خلال السيطرة على الزوايا والمساجد والكتاتيب في اطار تنفيذ سياستها الاستعمارية القائمة على محو الشخصية الوطنية الجزائرية.

3-المقابر وعظام الموتى:

من ضمن الأمور التي تمس مشاعر المسلمين في الصميم بعض الحوادث المتعلقة بالمقابر وعظام الموتى، فهذا الدوق دوروفيقو، قائد جيش الاحتلال سنة 1832م قد أمر بتخريب المقبرة الإسلامية بدعوى مد الطريق بين قلعة بوليلة (الإمبراطور) وباب عزون[2] ومما يذكر أن المهندس المكلف بذلك مد الخط المطلوب وصادف أن كان وسط ضريح مباشر، وعندما جرى الحفر قطعت عظام الميت إلى نصفين، نصفها بقي تحت التراب و النصف الأخر أصبح معروضا للعيان ويقول أحد الكتاب أن المنظر كان يهز المشاعر حتى مشاعر بعض الفرنسيين المشاهدين، ومع ذلك فإن سلطات روفيقو الجائرة لم تحدد حتى المكان الذي تدفن فيه بقايا الموتى[3].

كما قامت السلطات الفرنسية بتهريب عظام الموتى المسلمين من الجزائر إلى مرسيليا لاستخدامها في فحم العظام[4] وتبييض السكر، ويضاف إلى ذلك أن بعض الأوربيين واليهود كانوا يجمعون الأحجار الكريمة والعظام من المقابر الإسلامية بعد أن تمر عليها المجارف الفرنسية إذ تصبح العظام عارية.

يتبين مما سبق أن حقد الفرنسيين على الرموز الدينية وكل ما يمس مشاعر المسلمين لتكريس الهزيمة النفسية وقبول الواقع الجديد المتمثل في المستعمر الفرنسي.

---

[1] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 136.

[2] - أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق، ص86.

[3] - المرجع نفسه، ص 86.

[4] - حياة طويل ومصطفى حجازيي، "التنصير أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1962"، مجلة القرطاس، عدد خاص،جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، جوان 2017، ص316.

4-الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية:

سارعت فرنسا منذ احتلالها الجزائر إلى الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية نظرا لأهميتها، رغم الاتفاق المبرم سابقا وبعد شهرين من الاحتلال تم إصدار أمر يقضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي تمول الخدمات الدينية و الثقافية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين، وفي 07 ديسمبر 1830م أصدر قائد الاحتلال أمرا آخر في هذا المجال يكفل لهم حق التصرف في أملاك الأوقاف التي استولوا عليها، جاء فيه ما يلي: " إن القائمين على أملاك الأوقاف ملزمون بأن يقدمون في ظرف ثلاثة أيام من تاريخ القرار تصريحا يبين صفة ووضع حالة عقارات الأوقاف التي يستغلونها ، وإلا يتم تحويلها إلى أملاك الدولة الفرنسية "[1]، فقد عملت فرنسا منذ احتلالها للجزائر على وضع يدها على المؤسسات الدينية الخاصة بالدين الاسلامي وأجبرت أئمة المساجد وموظفيها أن يكونوا تحت سلطتها باسم نظام جائر أملاه حق الغالب على المغلوب.

ولم تكتف فرنسا بهذه الأعمال بل رأت أنه لا يشفي غليلها إلا بعد أن تتحكم في مجمل قضايا الدين الإسلامي وتعمل عل التضييق على المسلمين، وذلك من خلال تحكمها في كل شؤون الإسلام كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك من الأمور الدينية. [2]

يتضح لنا مماسبق أن الحملة الفرنسية على الجزائر وضحت بشكل جلي الاطار العام للحملة الفرنسية في اطار الصراع الحضاري بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي ومدى الحقد الديني اتجاه الاسلام والمسلمين.

[1]- رابح تركي عمامرة، المرجع السابق، ص 66.

[2]- محمد دراجي، موقف الإمام الإبراهيمي الإسلام في الجزائر في عهد الاستعمار، عالم الأفكار، الجزائر، 2007 ص 12-11.

المبحث الثاني: سياسة التنصير ومحاربة الدين الإسلامي

1) الجانب الديني للاحتلال الفرنسي للجزائر:

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر حلقة من حلقات الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا المسيحية على العالم الإسلامي لذلك كان للجانب الديني تركيز في احتلال الجزائر[1]، ويتجسد العامل الديني في الاحتلال من خلال الدور الذي لعبه رجال الدين المسيحيين في الحملة إذ اصطحب ديبورمون قائد الحملة على الجزائر سنة 1830م معه حوالي 16 قسيسا حتى يكتمل غزوهم العسكري بالغزو الديني الفكري وهو الأهم في نظرهم، كما كان قرار الملك الفرنسي شارل العاشر لاحتلال الجزائر مؤيدا من طرف الأسقف الكبير ووزير الشؤون الدينية فريسوس الذي كانت وراءه روما المسيحية[2].

ولا يمكن أن ننسى تشجيع ومساعدة الوزراء لذلك، فقد عبر كليمون نونير ووزير الحربية في تقرير قدمه للملك شارل العاشر في 14 أكتوبر 1827م عن آماله في تنصير الجزائر بما يلي: " يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الأهالي ونجعلهم مسيحيين "[3].

وفي حقيقية الأمر أن فرنسا لم تأت إلى الجزائر بغرض الانتقام لكرامتها فحسب كما هو شائع بل هناك دوافع عديدة كانت وراء حملتها العسكرية وفي مقدمتها الجانب الديني، حيث صرح الجنرال ديبورمون في كلمته التي ألقاها أثناء سقوط مدينة الجزائر على يده وهو يخاطب رجال الدين الذين اصطحابهم معه يعبر لهم عن آمالهم في نصرة المسيحية بقوله " إنكم أعدتم معنا فتح باب المسيحية في إفريقيا ونتمنى في القريب أن نعيد الحضارة التي انطفأت فيها منذ زمن بعيد " وبهذا يكون الفرنسيون قد أعادوا إحياء الروح الصليبية الحاقدة برفعهم راية المسيحية ضد الإسلام معتبرين احتلالهم للجزائر استردادا لبلاد كانت تدين بالمسيحية قبل ظهور الإسلام [4].

---

[1]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989م، الجزء الأول دار المعرفة، الجزائر ، 2006 ص 48.

[2]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص 15.

[4]- محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي، ابن النديم للنشر، الجزائر ، 2009، ص 228.

يتضح مماسبق أن فرنسا عملت جاهدة منذ احتلالها للجزائر على محاربة اللغة العربية والدين الاسلامي باعتبارهما مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية وذلك للقضاء على الامة الجزائرية وفصلها عن جذورها وانتمائها وحضارتها، ليتسنى لها اكمال الهيمنة الاستعمارية الفرنسية ،فأسندت هذه المهمة للقساوسة والمبشرين وحاربت المؤسسات الدينية والرموز والحاق شؤون العبادة بالإدارة الفرنسية ومحاربة وابعاد رجال الدين، متنكرة لوعودها وعهودها للجزائريين عشية الاحتلال.

2) التنصير في الجنوب:

لم ينس المبشرون القسم الجنوبي من الجزائر، بل امتدت جهودهم إلى مختلف النواحي الصحراوية فقد رأى رجال الدين المسيحيين أن أكبر عائق يواجه فرنسا في الجنوب هو الإسلام لذلك تم تسخير العديد من الإرساليات التنصيرية وإرسالها إلى المناطق الصحراوية، كما تم إنشاء جمعية الآباء البيض للصحراء وأسست مراكز لهؤلاء الآباء في ورقلة سنة 1873م وكانت لهذه المراكز أربعة قساوسة ودار للأيتام ومدرسة يتردد عليها حوالي 70 تلميذا وعددا من الكبار وكان هذا النموذج الموجود في ورقلة يتواجد مثله في المناطق الصحراوية الأخرى مثل غرداية وتمنراست.

والهقار وغيرها، وكل ذلك يتم تحت شعار الدعوة إلى المسيحية وإخراج السكان من التخلف وربطهم بالحضارة الفرنسية[1].

3) ارهاصات وخلفيات الحركة التبشيرية بجنوب الجزائر:

لم تنقطع الصلة بين الصحراء والوافدين الجدد من اليهود والنصارى على مرّ الأزمان، وتنوّعت المقاصد والأسباب لتشمل الجوانب السياسية الأمنية والاقتصادية وحتى الدينية، وتباينتْ ردود أفعال السكان اتجاه ذلك التواجد حسب طبيعته وتداعياته، إلا أنّ الذاكرة التاريخية تحفظ لنا الصدام العنيف الذي حدث بين سكان إقليم توات واليهود القاطنين بمدينة تمنطيط، إذْ تمّ جلاؤهم وهدمُ بِيَعهم وأسواقهم سنة 897هـ / 1492م، بأمرٍ من المصلح الديني الشهير الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[2]، بعد أنْ عاثوا في الأرض فسادا

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 140.

[2]- للاطلاع على حياة الشيخ المغيلي وقصّته مع يهود توات وما أحاط بها من جدلٍ فقهي واجتماعي يُنظر:

واحتكروا الغِلال والموازين. ورغم ذلك فقد ظلّ أثرهم شائعاً في المجتمع التواتي قدحاً وتشنيعاً إلى يومنا هذا.

إذْ تشير الكثير من النوازل الفقهية المحلية[1] إلى اقتران استخدام لفظ اليهودي بمعاني السّب والشتم، ممّا يدلّ على استذكار التواتيين الدائم لِماضي تلك الفئة المقيت بالمنطقة، وحرصهم على البراءة من سلوكياتهم وممارساتهم.

وبعد سقوط الجزائر المسلمة بين يدي الاحتلال الفرنسي الصليبي، نقلتْ المصادر التاريخية نداء قائد الحملة الفرنسية دي بورمون مخاطباً الجزائريين " إننا نضمن لكم أن تبقى جوامعكم ومساجدكم معهودة معمورة، على ما هي عليه الآن أو أكثر، إنه لا يتعرض لكم أحد في أمور دينكم وعبادتكم، فإن حضورنا إليكم ليس من أجل محاربتكم..."، لكنّ دي بورمون نفسَه لم يضمن بقاءه في الجزائر لأزيد من شهرين، فقد صدر قرار عزله في 07 أوت 1830م، وبعد وصول خلفه كلوزيل غادر الجزائر يوم 03 سبتمبر 1830م، غير مأسوف عليه لا من الجزائريين الذين أهانهم واعتدى على أملاكهم وأعراضهم، ولا من قومه الذين فتح لهم باب الجزائر على مصراعيه، وبقيت هذه العهود حبرا على ورق وكانت وسيلة فقط لإتمام عملية السيطرة على الجزائر ومقوماتها وانتمائها.

وقد فتح الجميعُ إثرَ ذلك موسم الصيد الديني، وجعلوا من محاربة الإسلام ومدارسه وتعاليمه هدفاً يرجون تحقيقه، وتزعّم تلك المساعي جيشٌ جرّار من المبشّرين المسيحيين، على رأسهم الكاردينال لافيجري مطران الجزائر وكبير أساقفة إفريقيا، وأنطوان ديبش، بعد إنشائهما أسقفية الجزائر سنة 1838م وجمعية الآباء البيض سنة 1869م، وفي سبيل ذلك الغرض منحتْهُ فرنسا ما يشاء من الأموال ليواصل عمله (المقدس)[2] ويُنقل عن لافيجري هذا

محمد بن محمد بن أحمد (ابن أبي مريم التلمساني): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر: 1908م، ص 253. / أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر: 1906م، ج 01، ص 166.

[1]- منها على سبيل الذكر نوازل محمد بن عبد الرحمان التنلاني ونوازل الزجلوي ونوازل الجنتوري ونوازل عمر بن بادي الكنتي وغيرها.

[2]- عبد العزيز الكحلوت: التنصير والإستعمار في إفريقيا السوداء، ط 02، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس: 1992م، ص 35.

زعمُه " أن عهد الهلال (الإسلام) في الجزائر قد ولى وقبُر، وأن عهد الصليب (المسيحية) قد بدأ، وأنه يستمر إلى الأبد... وأنّ علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية، مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها من الإنجيل "[1].

كما أن العداء الفرنسي الصليبي للإسلام ليس خافياً على أحد، فقد أكّد الكاردينال لافيجري ذلك متحسّراً ومصرّحاً بالقول " وبينما كان الإسلام على وشك أن ينهار في أوروبا مع عرش السلاطين (من آل عثمان) كان لا يزال ناشطاً في تقدّمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الإفريقية "[2].

ومنذ احتلال فرنسا للجزائر تمّ بذل جُهد معرفي واسع بخصوص الصحراء عامة ومنطقة توات خاصة، من قِبل كتّاب وباحثين أنثربولوجيين معظمهم ضبّاط في الجيش الفرنسي لأهداف سياسية دينية استراتيجية تخدم أغراضهم الاستعمارية، توّج بظهور كتاب الصحراء الكبرى للفريق Daumas سنة 1856م، وتوالت كتابات Deporter وLacroix. ثمّ أشهرهم A.G.P. Martin الذي نشر كتابيه الهامّين: الواحات الصحراوية، وأربعة قرون من تاريخ المغرب، سنتي 1908م و1923م[3]، مما سهّل من مهمة الإرساليات التبشيرية التي أخذتْ في حسبانها خصوصيات منطقة توات المناخية والجغرافية، وأساليب السقي والإنتاج الزراعي، والأوضاع الثقافية والاجتماعية والعمرانية، وحتى الجوانب الفلكية والمظاهر الطوبوغرافية.

لقد سعى لافيجري ليجعلَ من مدينة بسكرة مفتاح الجنوب الجزائري ومركز التواصل بين التل والصحراء زاوية مسيحية؟ " زاوية " على غرار الزوايا الدينية الإسلامية الشائعة بها وبالواحات المجاورة لها، واقترح بأن تسمى هذه الزاوية المسيحية بيت الله، وأنْ يتزين أربابُها

[1]- فاطمة بومعراف: كتاب التاريخ، ط 01، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر: 2006 م، ص 27.

[2]- مصطفى خالدي وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت: 1986م، ص 45.

[3]- رشيد بلّيل: قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر: 2008م، ص 05.

وروادها بلباس مريدي الزوايا وأتباع الطرق الصوفية بالجنوب ما عدا غطاء الرأس.[1] كما قام بتأسيس حركة تنصيرية مسلحة هي " جمعية إخوان الصحراء المسلحين "، التي أسّسها ببسكرة سنة 1891م، وقد زعم مؤسّسها أنها تهدف إلى محاربة بيع العبيد والرقيق في الجنوب الجزائري خاصة ومنطقة الساحل الإفريقي.

يتضح لنا مما سبق أن السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الديني في المنطقة الصحراوية كانت تتميز بطابع خاص يختلف قليلا عنها في الولايات الشمالية، لكنه يؤدي دورا وظيفيا واحدا، هو تمكين السيطرة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر.

4) العوامل المساعد في توغل الحركات التنصيرية في الجنوب:

رغم شساعة مساحة الوطن الجزائري ومعيقات البوادي والقفار، إلاّ أنّ عزم المبشّرين الفرنسيين لم ينثنِ دون تحقيق الأهداف المسطّرة سلفاً، مستغلّين سقوط المدن الصحراوية الواحدة تلو الأخرى في مخالب الاستعمار، وفشل المقاومات الشعبية المحلية في صدّ التوسع الفرنسي.

ومن الأمور التي راهنَ عليها الفرنسيون من أجل إنجاح جهودهم التبشيرية والدّفع بحركتهم التنصيرية نحو أعماق الصحراء ما يلي:

1 – محاولة استغلال الأوضاع الاجتماعية المميزة للجماعات الصحراوية، المبنية غالباً على الطبقية الفئوية في بعض القرى والمدن الصحراوية، والرغبة في الذهاب بعيداً . كما صرّح بذلك الراهب الجاسوس شارل دي فوكو . رجاءَ الوصول إلى المعزولين والمنبوذين والمتفرّدين[2].

2 – تمكّن بعض الجواسيس والرهبان من تعلّم اللغة العربية واللغات الأمازيغية المحلية على غرار التارقية والزناتية والشلحية...الخ، مما ساعدهم في التوغّل بين معظم السكان، مستهدفين العامة والجهَلة وكبار السن والأرامل والمطلقات والأطفال الأبرياء.

3 – القضاء على المقاومات المحلية، ومحاصرة الفرنسيين لأقاصي الصحراء بعد معركتي إينغر بعين صالح سنة 1900م وجانت سنة 1924م. والظاهر أنّ علماء المنطقة استشعروا

---

[1]– مصطفى خالدي وعمر فروخ، المرجع السابق، ص 125.

[2]– عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، ط 01، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر: 2005م، ص111.

الخطر النصراني وما سيحلّ بالأمة المحمدية الموحِّدة، فبعد سقوط إقليم توات في يد الاحتلال الفرنسي كتب الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان (ت1339هـ / 1921م) قصيدة رثاء وتوسّل إلى الله تعالى بأن يرأف بحال أمّة التوحيد بعد أنْ تسلّطتْ عليها أمّةُ الكفر[1]، يقول فيها:

ربِّ إنّ فرنسا الكفرِ جَـاروا	***	في توات وجازفوا بفسادٍ
خَتّلوا قتّلوا وصـالوا وقالـوا	***	وأَضلُّوا وخاطروا بعنادٍ
خوّفوا أمّةً توحِّـد ربـاً	***	واحداً أحداً بِلا أضدادٍ
لمْ يقولوا اتّخذت يا ربِّ نجـلاً	***	لا ولـمْ يُشركوا بِربِّ العبادِ
لا ولـمْ يجعلوا صليباً ولا نِـداً	***	معَ اللهِ جَلَّ عن أندادِ
ووعـدتهُمْ إلهي بغفرانِ	***	الذنوبِ بدونِ شركٍ معاد
إنْ تُسلِّط عليهـم أُمةَ الكفـرِ	***	بِجورٍ وحربٍ وبِعاد
فَعلى المشركين فأردد لهـمْ	***	كَرَّتَهـم أبداً وطولَ الآمادِ
ربِّ إنْ تهلكْ أمةُ المصطفى لـمْ	***	يبقَ في الأرض مؤمن ذو رشاد
ربِّ إنَّك قُلتَ هُمْ خيرُ أمَّةٍ	***	أُخرِجتْ فانصرن بنصرِ باد
قدْ رددتَ لِنسلِ يعقوبَ فيمَا	***	قدْ مضى كَرَّة على أوغاد
فَلأمةُ أحمدَ أكرمِ الخلقِ	***	عليكَ وأصفى في كلِّ نـاد
صَلِّ يا ربَّنا ثمّ سلِّمْ عليه	***	وعَلى آله الطّودِ النِّجـاد
مَا جَرى يَمُّ نورِهِ في ظـلامِ	***	الشِّركِ يلمعُ نورُه في البـلادِ

هذه قصيدة معبّقة بمعاني التوحيد والإيمان الراسخ في صدور المؤمنين من أبناء الجنوب الجزائري، ونبذ مظاهر الشرك والتثليث التي جاء بها الفرنسيون النصارى الكفّار في نظر سكان المنطقة عامتهم وخاصتهم.

4 – تشجيع سلطات الاحتلال الفرنسي للإرساليات التبشيرية مادياً ومالياً ومعنوياً، وإغداق الأوسمة والنياشين على رموز الحركة التنصيرية، وإقناعهم بضرورة توسيع نشاطهم من

[1]– محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ج 01، ص 173.

أجل ربط مستعمرات الإمبراطورية الفرنسية جنوبي الصحراء بعضها ببعض جغرافيا إقليمياً، وأيضاً دينياً فكرياً. كما هو الشأن بالنسبة لمشروع الرّبط بين أضلاع المثلث الثلاثة: جنوب الجزائر، السنيغال والكونغو منذ مارس 1898م [1].

5 – اعتقاد الفرنسيين بإمكانية حدوث التجاوب وسرعة التنصّر من لدُن بعض قاطني الجنوب الجزائري، خاصة فئة العبيد من ذوي الأصول الإفريقية،[2] أو مِن الذين نبذَهُم المجتمع الصحراوي المحافِظ بفعلِ جَريرة ارتكبوها أو خطيئة كسَبَتْها أيديهم.

5) أعلام الحركة التنصيرية في الصحراء الجزائرية وأدوارهم:

تكاد تقتصر الحركة التبشيرية بالجنوب الجزائري على علَمين مشهورين هما: لافيجري ودي فوكو، غير أنّ كِبار السّن في ولايتي ادرار وتمنراست حين يُحدثّونك عن جهود رموز وأعلام آخرين فإنّهم يستخدمون اللفظ الشائع المطلق: الرّومي (النصراني) أو " القاوري [3] ".

بدأ الكاردينال شارل مارسيال المان لافيجري مسيرته التبشيرية من بلاد الشام، ثمّ حلَّ بالجزائر مبعوثاً للبابا في الصحراء الكبرى وبلاد السودان، وقد جسّد خلال الفترة 1868م. 1892م قمّة التبشير في الجزائر وفي إفريقيا مروراً بالصحراء، مستخدماً سلاحي الأعمال الخيرية والمدارس التعليمية، كما اشتهر بمخيمات الأطفال التي كان يُقيمها ويُسيّرها. أمّا حرصُهُ على استهداف الجنوب الجزائري فيتضّح في قوله: " يجب أنْ نجعلَ من الأرض الجزائرية مهداً للأمة الفرنسية المسيحية، وينبغي أن ننشر حولنا الأضواء الحقيقية للحضارة

---

[1] – يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، تمنغست: سبتمبر 1979م، ص 57.

[2] – لمْ يُولِ الفرنسيون هذه الفئةَ المحتقرةَ في نظرهم فقط ، اهتماماً البتّة، بل استخدموا الديانة المسيحية في استعباد الإفريقي وإذلاله، فبينما فهِمَ الأوروبي من الكتاب المقدس النصوص التي تُعلي وتكرّس التوجهات الفوقية والسادية، قدّم رجال الكنيسة للإفريقي النصوص التي تدعو إلى الإذعان والخنوع والخضوع للأوروبي السّيد الجديد، يُنظر: عبد العزيز الكحلوت، المرجع السابق، ص 11.

[3] – القاوري لفظ شائع بالجزائر، مشتق من أصلٍ تركي هو " قاوور " ومعناه الكافر. حسبَ إفادة الأستاذ الدكتور أحمد وصال مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة مرمرة التركية، في ملتقى العلاقات الجزائرية التركية، المنعقد بجامعة بسكرة في: 18 فيفري 2014م.

المستمدة من الإنجيل، وأنْ نحملها إلى الصحراء، وإلى العالم الإفريقي الذي يعيش حياة بربرية، ونعمل على ربط وسط إفريقيا بشمالها "[1]

وعلى خُطى لافيجري سار الرّاهب الجاسوس شارل دي فوكو، الذي بدأ مسيرته برحلة مُثيرة إلى المغرب الأقصى سنة 1882م، ثمّ إلى سوريا، ومنها نحو مدينة بني عباس (بشار) سنة 1901م، قبل أنْ يستقرّ أخيراً في خلوته بجبل الاسكرام (تمنراست)، يتقرّب إلى التوارق ويتعلّم لغتهم، ويُنجز معجمَه اللغوي، حتى مقتله في ديسمبر 1916م على يد بعض الثوّار التوارق[2].

بذل الفرنسيون جهودا مضنية لنشر الدين المسيحي بأقاصي الجنوب لكن السكان في هذه المنطقة كانوا أكثر تمسكا بدينهم الاسلامي نظرا للطابع الثقافي العام القائم على العقيدة الاسلامية فهي تنظم حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتدخل في تفاصيل حياتهم وعلاقاتهم ومعيشتهم اليومية.

6) آثار الحملات التبشيرية على سكان الجنوب الجزائري:

رغمَ تعاقب السنين وانتشار التعليم والمعرفة بالجنوب الجزائري بعد الاستقلال، إلاّ أنّ كثيراً من العادات والطقوس التنصيرية المتوارثة من زمن الاحتلال لا زالتْ قائمة مُعايَنة ولو على مستويات محدودة . تُمارسها بعض الفئات الاجتماعية عن قصد أو غير قصد. منها ما يلي:

– حلاقة شعر رأس الطفل الصغير على شكل الصليب، وهي عادة كانت شائعةً إلى وقت قريب، ويتنافس من أجلها الأطفال، خاصة في بعض المناطق النائية والقرى والقصور التواتية.

– ما يُسمَّى محلياً بِخطّ جبريل، وهو وضع المرق الصليبي على واجهة الأطعمة المحلية الشعبية ذائعة الصيت، مثل الكسكسي والكسرة، حيث يتحلّق حولها الجماعات في المناسبات العامة. وهي عادة غريبة تبيّن خُبثَ المبشّرين في استغلالهم القذِر للطابع التعاوني الجماعي بالمنطقة، وإدراج اسم جبريل (روح القدُس) عليه السلام ونسبته إلى الصليب.

[1]– خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 128.

[2]– عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 110.

– تداول المصنوعات التقليدية والتُّحف الفنية والمنسوجات اليدوية التي توظّف الصليب بجلاء . عن غير قصد غالباً في الأسواق وفي محلات الحِرفيين المنتشرين بأدرار وبشار وتمنراست وجانت وغرداية...الخ. وهي ظاهرة لا تعني الإبداع الفني في شيء، إذْ بإمكان المرء أنْ يُبدع ويُمتعَ دون أنْ يُكرّس ظواهر حاربها آباؤه وأجداده لسنوات، ولنا في الفنون الإسلامية من فسيفساء وزخرفة ومشربيات خير مرجعية.

– بثّ الأمثال والأحاجي والقصص والأشعار " المسمومة " باللغة الدارجة، وترسيخها ضمن التراث الثقافي اللامادي للمنطقة، من ذلك الأغنية التي طالما رددناها ونحن صغار دون وعي بمحتواها " يوم الحد (الأحد) ما يقرا حد (أحد) إلاّ أولاد محمد (عليه السلام) وأولاد فاطمة بنت محمد (سيدنا محمد)، يعطيهم جنّ جنّ بالواحد ". وهو مثَل خطير يُسيء لأمّة محمد عليه السلام ويُمجّد أمّة المسيح عليه السلام . المشار إليها في المثل بعدم العمل أو القراءة يوم الأحد.

ومن خلال هذه الاشعار والامثال يتبين لنا أن فرنسا سخرت امكانياتها العلمية والثقافية لدراسة نفسية المجتمع الجزائري ، من خلال تجنيد الاباء البيض والمكاتب العربية المتخصصة التي تدرس لغة وعادات وتقاليد المجتمع وتوظيفها لتوجيه البوصلة نحو أهدافها الاستعمارية.

أمّا الشاهد المادي الذي يحفظ تلك الظاهرة الدينية ويؤرّخ لها فهو الكنائس والخلوات المسيحية التي بقيَتْ كما كانت تقريباً، رغم عداء السكان للفرنسيين وآثارهم، ممّا يدل على التسامح الديني الذي يتصّف به سكان الجنوب الجزائري.

المبحث الثالث :التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية

1) الفتاوى الموظفة في خدمة السياسة الاستعمارية:

أ- الفتوى الموجهة للسكان بعدم التعرض للموكب العسكري الفرنسي

وظفت فرنسا الفتوى الدينية لإقناع السكان بعدم مواجهة قواتها العسكرية، ويظهر ذلك من خلال الوثيقة التي وجهها بعض العلماء إلى سكان متيجة والمدية في الأسابيع الأولى لاحتلال الجزائر، والتي تنص على عدم التعرض للموكب العسكري الفرنسي الذي خرج للنزهة والتفرج حسب تعبيرهم .ومما جاء في هذا النداء:

" ...إلى إخواننا المسلمين في البلدان والقرى من عرب وأتراك وقبايل :السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

اعلموا رحمكم الله أن الجلنار السر عسكر، الذي ملكه الله بلادنا بحكمه النافذ، وتقديره السابق، قد علمنا منه وتحققنا أن خروجه إلى ناحيتكم لم يكن بقصد حرب ولا قتال، وإنما هو بقصد الاستيلاف والتفرج، وإعانة الضعفاء، وأنه يسالم من يسالمه، ويحسن إلى جميع من لقيه بغير سلاح، ويعطي ثمن كل ما يشتريه، ممن يأتيه بثمن يرضيه، وأعطانا عهد الله وميثاقه على ذلك بأيمان مغلظة، بحيث لم يبق لنا شك في ذلك قال الله تعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[1].

ونصيحتنا لجميعكم هي أن تجنحوا إلى ما أمر الله وصونوا دماء المسلمين، ونحن نضمن لكم ألا يعتريكم منه في خروجه هذا ما يضركم...فأما من شهر السلاح وأراد الحرب منكم فوباله على نفسه، والسر عسكر مجبور على مدافعته ومقابلته بالحرب، والصلح خير...وهذا ما وجب إعلامكم به، والله الموفق بتاريخ أواخر جمادى الأول عام 1246 هـ ستة وأربعين ومائتين وألف"[2]

[1] – سورة الأنفال:. الآية: 61.

[2] – عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة1830-1900م، موفم للنشر، ط ، ص.57.

وقد وقع هذا النداء كلا من :علي بن محمد المنجلاتي مفتي المالكية بالجزائر، وقاضي الحنفية بالجزائر، ومحمد بن محمود مفتي الحنفية بالجزائر، وقاضي المالكية مصطفى بن محمد"[1]

لا شك أن خروج الموكب العسكري كان يهدف لفك الحصار على العاصمة الجزائر، والتوغل نحو المناطق التي تلي العاصمة في الداخل الجزائري لاستكشاف مواقعها وطبيعة السكان الذين اضروا بالعاصمة بعد احتلالها من خلال مقاطعة أسواقها، وتوقيف التعامل بها[2].

وقد بالغ هؤلاء العلماء في حسن الظن بالفرنسيين الذين لا عهد لهم ولا ميثاق، مصدقين الأيمان المغلظة وختم القائد في الرسالة، ولو علموا ما في الصدور، أو تريثوا محتاطين لدينهم ومواقعهم، لما تعهدوا أمام مواطنيهم طالبين منهم السلم، ولما أوقعوا بأنفسهم في هذه الورطة أو الخطأ[3] .

وقد تبين بعد ذلك خطؤهم في قراءتهم لنوايا الفرنسيين، فهؤلاء كانوا ينوون الاطلاع على عورات المسلمين ونقاط ضعفهم وجلب المواد الغذائية، ومن ثمة التوسع في الاحتلال، والدليل على ذلك أنهم أرسلوا أسطولهم إلى كل من وهران وعنابة في نفس الوقت، وأنهم حولوا النزهة إلى غزو في كل من البليدة والمدية.[4]

فلننظر الآن إلى حجم المصيبة إن لم يكن العلماء في مستوى الوعي والأمانة التي في أعناقهم، مجرد رسالة مكتوبة عن حسن ظن توجه إلى العامة كفيلة بتمهيد الطريق لأعداء الملة، ليعيثوا في أرض المسلمين نهبا وفسادا، فكيف إذا سيطر الاحتلال على العلماء واحتواهم؛ يختار منهم من يشاء ويوجههم كيف يشاء.

من نتائج التبعية الناعمة لرجال الدين للإدارة الفرنسية تخلي المسلمين عن الهيئة الدينية الرسمية والاتجاه نحو المرابطين المقاومين في البداية ثم نحو الطرق الصوفية، ورجال الدين الأحرار كبدائل لرجال الدين، فقد كان علماء الإسلام يعتبرون حراس الدين وحماته، أما في

---

[1] – المرجع السابق ، ص57.

[2] –أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، ط1، 1998 م 4، ص359

[3] – أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج 4، ص360.

[4] – المرجع نفسه ، ج 4 ص359.

العهد الفرنسي فقد أصبحوا خصوصا الرسميون منهم أدوات في يد السلطة الفرنسية تقوّلهم ما تشاء[1].

يتضح لنا مما سبق أن فرنسا كانت تستغل النصوص الدينية والائمة والشيوخ لخدمة مشاريعها التوسعية في الجزائر من خلا استعمال أسلوب المراوغة وخرق المفاهيم والتفسيرات.

ب) توظيف الفتوى في الدعاية لصالح فرنسا في الحرب العالمية الأولى

في أثناء الحرب العالمية الاولى وظفت فرنسا الفتوى الدينية لمواجهة الدعاية العثمانية والالمانية، ومن بين النماذج في ذلك تجنيد بعض العلماء للرد على فتوى مفتي اسطنبول الذي أفتى بتكفير المسلمين الذين يحاربون في صفوف أعداء الدولة العثمانية في رسالته المسماة "المسلمون في الجيش الفرنسي".

وكان ذلك يعني الجزائريين الذين جندتهم فرنسا للحرب ضد الدولة العثمانية، لجأت فرنسا إلى شيخين من شيوخ العلم والدين لمهمة الدعاية الدينية لصالح حربها، أحدهما معروف وهو بومزراق (الونوغي) المقراني، ابن أحمد بومزراق المقراني، الذي خلف أخاه محمد المقراني في ثورة 1871م، وكان متوليا للقضاء في ناحية الشلف.

أما الشيخ الثاني فهو عبد الرحمن قطرانجي وهو غير معروف بعلمه عندئذ ولا بمؤلفاته، ويبدو أنه من رجال الدين بالعاصمة ومن الأصول العثمانية[2].في بداية الحرب عينت فرنسا الشيخين المذكورين إمامين للجيش، أي إمامين للمجندين الجزائريين، أما الرد على رسالة مفتي اسطنبول فكان في رسالة بعنوان:"القول الناصح في مجادلة المائن الكاشح" للشيخين، المجادلة وإن كانت في الظاهر مجادلة دينية لكنها في الحقيقة مجادلة سياسية كان الهدف منها التعرض للدعاية العثمانية الموجهة للمسلمين، وإثبات أن دخول الدولة العثمانية الحرب مع ألمانيا قد انحرفت عن جادة الإسلام، وتخلت عن واجباتها تجاهه.

وبلغ الأمر بفرنسا أن طلبت من الأئمة ومختلف الدوائر الدينية خاصة الرسمية منها التعبئة والدعاية لصالحها، من ذلك بلاغ الجمعية الدينية في الجزائر بتاريخ 07 أوت 1914م ومما جاء فيه: "تدركون جيدا أن تهور الألمان هو الذي أدى إلى إشعال الحرب،

[1] – المرجع السابق ، ج 4 ،ص 358.

[2] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 7 ص 103.

حيث رفضوا النقاش الدبلوماسي لإيجاد حل سلمي للصراع القائم .لقد غزوا بلدانا محايدة لهم، واستولوا على أراضيها بوحشية، وقاموا بذلك دون إعلان رسمي للحرب ودون سابق إنذار، وهم اليوم يهجمون على وطننا الأم فرنسا، لقد حطموا وداسوا حقوق الإنسان والقوانين الدولية، وهم معروفون بالعنف والغطرسة والاستكبار منذ القدم .وفرنسا بالمقابل رمز العدالة والشهامة والحضارة والمدافعة عنها، قد خطت خطوات هامة في خدمة الإنسانية ولذلك منحها الله مستعمرات واسعة، وسيمنحه الانتصار في الحرب فأثبتوا أيها المسلمون شجاعتكم، وأثبتوا أن دم آبائكم يسري في عروقكم ولا تستمعوا إلى الأكاذيب والدعايات . إن مساعدتكم للفرنسيين واجب عليكم من باب حسن الجوار والمعاشرة الذي ستدخلون به الجنة[1] ."

ما فائدة مشاركة الجزائري في هذه الحرب، وأي حسن جوار ومعاشرة الذي يفرض على الجزائري أن يقاتل ضد أخيه المسلم من العثمانيين، بل ويدخل الجنة إن هو قتل في الحرب.

وفي نفس المعنى قال المفتي الرسمي بالمسجد الكبير بقسنطينة الفقون زواوي بن محمد الصالح: "إننا نحن المسلمون متحدون مع الأمة الفرنسية في حربها لأنها حاميتنا ...فلنبق موالين لها، ولننضم إلى صفوفها، فإما أن ننتصر أو نموت .لنرفع أيدينا إلى السماء وندعو الله لينصر بلادنا الأم فرنسا، وأن يحطم الأعداء، ويحفظ الحكومة الفرنسية " وقال المفتي الرسمي بنفس المسجد: "الله ندعو أن يرحم الذين ماتوا في الحرب ...إن أبناءنا وأبناء المسيحيين والإسرائيليين يحاربون بنفس الروح والهدف، وهو الدفاع عن فرنسا. ..نصرهم الله[2]" .

ويبدو أنه لم تكن هذه الدعاية التي اتخذت من الدين مادة لها السبب الأساسي الذي شجع بعض الجزائريين لمشاركة فرنسا في حربها العالمية؛ لأن مما هو معلوم أن الجزائريين قد

---

[1] – بالحاج ناصر، دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الاجباري في الجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد03،2008 ، ص10، نقلا عن Melia J ،L'Algérie et la guerre، 1914-1918، Plon، Paris، 1918 ، – p p.117 .120

[2] – بالحاج ناصر، المرجع السابق، ص 10.

عارضوا قانون التجنيد الإجباري أشد المعارضة، خصوصا وإذا علم الجزائريون أنهم سيدخلون في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، كما عملت على اغراء المجندين ببعض الامتيازات وفرضت التجنيد الاجباري.

2) قضيـــة قدريــة الاستعمــار:

روجت فرنسا ونشرت في أوساط الجزائريين لمقولة "الاحتلال الفرنسي للجزائر قضاء وقدر"، لتواجه بها أي حركة تهدف إلى جهاد المحتل وطرده، وتظهر خطورة هذه المقولة إنها صدرت من رجال يحسبون على الدين، وألبست لباس الدين بإيراد أدلة وشواهد شرعية لتقوية حجتها.

وبما أن إدارة الإفتاء الرسمي وبعض الطرق الصوفية تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي واحتوائه، فلا غرابة من كون هؤلاء هم من أفتوا وأوحوا إلى الجزائريين بأن الاستعمار قضاء وقدر لا مرد له، وأن رفضه ومقاومته محادة لله[1].

وقد صرح أحد مقادم الطريقة التيجانية بالزيبان وواد سوف لما اشتكى له أتباعه من الاستعمار وطلبوا منه الرأي للتخلص منه قائلاً " :إن الله هو الذي منح الجزائر للفرنسيين وجعلهم مسيطرين عليها؛ لذلك ابقوا في سلام معهم، ولا تسيئوا إليهم."[2]

ومما جاء في رسالة لأحد شيوخ القبائل موجهة إلى عضو المجلس الوطني بباريس في ديسمبر 1872 م عقب نهاية مقاومة المقراني ..." ولكن تبعد علي الفكرة بأن أساند الذين قاموا بالانتفاضة. ..لأنه بعيدا أن نسمح بانتفاضة مسلمي الجزائر ضد فرنسا، فإن ديننا يأمرنا بالطاعة والاستسلام .إن مفسري القرآن الأكثر احتراما في الإسلام واضحون جدا تجاه ذلك [3]"...ثم ذكر بعض المبررات والقواعد الشرعية المتعلقة بعلاقة المسلمين مع المسحيين، واضعاً الاحتلال الفرنسي بجرائمه الفظيعة، موضع المسيحيين المسالمين الملتزمين بعهودهم تجاه المسلمين، الذين حفظ لهم الإسلام حقوقهم.

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتحقيق أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي بيروت– لبنان، ط1، 1997م، ج 2، ص459.

[2] – بالحاج ناصر، المرجع السابق ص10.

[3] – محفوظ سماتي، الشبان الجزائريون الجزائر الفتاة مراسلات وتقارير، ترجمة محمد المعراجي وعمر المعراجي، وزارة المجاهدين الجزائر 2013 م، ص127 ..

فمما قاله في ذلك ..." :يجب على الشعب المسلم أن يقاوم قدر المستطاع هيمنة الشعب المسيحي، ولكن إذا كان متيقنا من أن مقاومته لا تؤدي سوى للخراب وسفك الدماء دون جدوى، يجب إذ اً على الشعب المسلم أن يستسلم للشعب المسيحي ويخدمه بوفاء، فإن الخيانة في هذه الحالة تجاه الحكومة المسيحية هي نفسها تجاه الحكومة المسلمة [1]"...

مثل هذا الخطاب تحريف لما ينبغي أن يقوم به المسلم في الحالة التي كان يعيشها الجزائريون آنذاك من العمل على إعداد العدة قدر المستطاع؛ لتحرير البلاد من سلطان الكفر، والمحافظة على بقاء فريضة الجهاد حية في نفوس الجزائريين، وليس الاستسلام للشعب المسيحي وخدمته بوفاء، واعتبار جهاده وخيانته كخيانة دولة المسلمين.

صرح أحد النواب الفرنسيين في نفس المعنى قائلاً " :الله هو الذي وضع الجزائر تحت كنف حماية فرنسا. ..اقتنعوا بقدركم ولا تصدقوا الأكاذيب، فالدين الإسلامي ينصحنا بأن نرضى بالقدر الذي يقسمه الله لنا[2]" .

يتضح مما سبق أن فرنسا قامت بتوظيف بعض الزوايا لخدمة مصالحها والعمل على شل مراكز الاشعاع الديني والفكري وتجهيل الشعب الجزائري لسلخه عن دينه واعادة حرف المفاهيم والتعاليم الدينية لخدمة مصالحها باستعمال رجال الدين الذين منحتهم امتيازات.

3) توظيف بعض الفتوى في قضية فصل الصحراء

نظرا لأهمية الصحراء خططت فرنسا لفصلها عن الشمال ؛ولأهداف استراتيجية كثيرة منها : أهداف اقتصادية إذ تعد الصحراء مكمن الثروات الباطنية من نفط وغاز ومعادن، وأهداف عسكرية من خلال جعل الصحراء موطناً للقوات العسكرية الاحتياطية، ومن أجل الحفاظ على القواعد العسكرية التي أنشأتها فرنسا في الصحراء بغرض إجراء التجارب النووية والفضائية، أما بالنسبة للهدف السياسي فيتمثل في تعزيز مركز فرنسا في القضاء على الحركات التحررية في إفريقيا خصوصاً حرب التحرير الجزائرية بإنشاء كيان يخضع للإرادة الفرنسية يتوسط موقعاً هاما في القارة[3].فكان الموقع

[1] – المرجع السابق، ص.128 .

[2] – بالحاج ناصر، المرجع السابق، ص10.

[3] – لخضر عواريب، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء و مظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة؛ كنموذج للرد الشعبي عليها، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 07 جانفي2012 ، ص107.

الجيواستراتيجي المهم للصحراء ضرورة حيوية لتنفيذ السيطرة الاستعمارية وتكوين الامبراطورية الفرنسية المزعومة.

عمدت فرنسا كعادتها إلى توظيف بعض الرجال المحسوبين على الدين والفقه، لكسب قضية فصل الصحراء عن القطر الجزائري والمغرب ومالي، وأن تكون الصحراء منفصلة تحت راية فرنسا يسيرها الصحراويون بأنفسهم بزعمهم الكاذب وخديعتهم المكشوفة، فكلفوا بهذه المهمة القبيحة الذميمة الشنعاء بعض المفتين على رأسهم محمد محمود بن الشيخ قاضي تنبكتو صاحب أزواد، فذهب المفتي يجوب الأقطار الصحراوية لهذا الغرض، ويغري الناس ويلبس عليهم بالخطب الطنانة المسمومة، فغذى كثيرا من تنبكتو، والحوض وأزواد والطوارق، وكثيرا من أهل الحل والعقد من الصحراويين، حتى أوقعهم من حيث لا يعلمون فوقّع له كثير من أهل الحل والعقد على وثيقة كانت معه على أن الصحراء يجب أن تكون منفصلة عن الجزائر والمغرب ومالي، وهكذا حتى وصل إلى منطقة توات بالجزائر.[1]

ويذكر الشيخ مولاي أحمد الطاهري أنه كان من العلماء الذين تم الاتصال بهم من طرف المفتي المذكور نظراً لمكانته وسلطته الروحية بين سكان المنطقة، فقال المفتي له " :إنني قدمت من تنبكتو ونواحيها الصحراوية لغرض مهم كلفتني به الحكومة الفرنسية، وفيه مصلحة للحكومة ومصلحة لنا نحن الصحراويين، وهو أن نظر الحكومة اقتضى أن تكون الصحراء منفصلة منقطعة عن الجزائر وغيرها، وأن تكون تحت راية الجمهورية الفرنسية، وكنوزها وخيراتها تصرف في مصالح الصحراويين على المساواة، ويجب علينا نحن الصحراويون أن نتنبه ونعلم أن الصحراء ملك لنا لا لغيرنا، وها أنا سبقت منك أنت لأن أهل هذه الناحية تعمل برأيك وإشارتك وتابعة لك، وأريد بأمر من الحكومة أن تذهب معي إلى جميع القواد وأهل الحل والعقد حتى تعرفهم بهذا الأمر المهم، ويوقعوا على الوثيقة وما فيها من الشروط والتي وقع عليها إخوانكم الصحراويون ." فما كان من الشيخ الطاهري إلا أن رفض الطلب، وسعى في إبطال أمر تحصيل الدعم الديني والاجتماعي لهذه الوثيقة المشؤومة عبر توقيع الأعيان والعلماء كما كان مخططا لها.

[1] – مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعاملين والثقات، مخطوط بخزانة الشيخ البلبالي كوسام أدرار الجزائر، ص05 –04 ..

فمما قاله في هذا الأمر:" ولما ظهر لنا بأن هذه فتنة يقصد بها قلب الحقائق، وباطل في صورة الحق، فتحرك منا ما كان ساكنا وبرز منا ما كان كامنا، غيرة على الإسلام والمسلمين والوطن والدين، فأقول لمن كان من أهل الحل والعقد من أكابر الناس، إن محمد محمود إنما هو جاسوس لفرنسا وفتنة وخائن للوطن والمواطنين، ولا تغتروا به ولا تكونوا كالذين غرهم ودلاهم الشيطان بغرور[1] ."

ومن الشخصيات الدينية الجزائرية التي استغلتها فرنسا في هذه القضية أيضاً حمزة بوبكر من خلال محاولاته الدبلوماسية في مالي، أو المحلية بين أعيان الصحراء كالشيخ بيوض [2] وغيره، فمنهم من سقط في مغريات الأعداء، ومنهم من ثبت وتجنب الوقوع في هذا المخطط الماكر والشيخ إبراهيم بيوض من هؤلاء، كافأت فرنسا بعد ذلك حمزة بوبكر بإمامة مسجد باريس إلى أن توفي. يتبين لنا مماسبق أن فرنسا وظفت شخصيات لها أطماع وصالح ضيقة وأغرتهم بالرتب والوظائف لتنفيذ سياساتها الرامية الى استغلال الخيرات الطبيعية للصحراء وفصلها عن الشمال وتحقيق أهدافها الاستعمارية القائمة على استغلال ثروات الشعوب ومقدراتهم، كما أن بعض الشخصيات لم تكن بالسهولة التي كانت فرنسا تظنها حيث تفطنوا لألاعيب السياسة الفرنسية في المنطقة ودحر الاهداف الاستعمارية.

خلاصة:

ما نستخلصه من هذا الفصل: أن الاستعمار الفرنسي لا عهد له ولاذمة, فقد أخلف ما وعد به الجزائريين غداة دخوله هذه الأرض باحترام اقامة الشعائر المحمدية وعدم المساس بممتلكاتهم ودياينتهم, لكن في الحقيقة كانت وجهته الاولى نحو المساجد التي دمر بعضها وحول البعض الى كنائس, كما شن حربا ضروسا على الزوايا والمدارس القرءانية والتي كانت منبعا لهوية الجزائريين وتمت في النهائية السيطرة عليها و افراغها من محتواها, كما عمد في هذا الجانب الى توطيد سياسة التنصير من خلال دعم وتموين الحملات التبشيرية في مختلف أرجاء البلاد,بل وأكثر من ذلك هي محاولة التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية للجزائريين من خلال توظيف الفتوى خدمة لأغراضه الاستعمارية وتوظيف لها أطماع مصالح ضيقة لكسب الجزائريين وإقناعهم بمشروعه, لكن في المقابل هناك من زعماء القبائل وشيوخ الزوايا من تفطن لألاعيب السياسة الفرنسية وحاربها ونبه الناس إلى خطورة الأمر.

---

[1] – مولاي أحمد الطاهري، المصدر السابق ص06 ..

[2] – هو إبراهيم بيوض ولد بالقرارة (بني ميزاب)سنة 1899 م، أنشأ معهد الحياة فيها ومارس التعليم فيه وأداره، قام بإرسال البعثات الطلابية إلى تونس وغيرها، وتولى القيادة الروحية في المنطقة برئاسته لمجلس العزابة ثم لمجلس عمي سعيد، كما تولى القيادة العلمية والثقافية ودخل عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان أحد أعضاء الهيئة التنفيذية التي تولت تسيير شؤون الجزائر بين إعلان وقف إطلاق النار وإعلان الاستقلال، متوليا فيها الشؤون الثقافية والتعليمية. توفي بتاريخ 14 يناير .1981 تاريخ الجزائر الثقافي622 / 10 ..

الفصل الثاني:

توظيف نازلة الاستعمار في بداية الاحتلال الفرنسي

- ✓ المبحث الأول: سياسة فرنسا و الجنرال بيجو في المجال الديني
- ✓ المبحث الثاني:"نازلة الاستعمار " في مهمة ليون روش 1841م
- ✓ المبحث الثالث: مقاومة الأمير عبد القادر واستشارة العلماء في جهاده
- ✓ المبحث الرابع: الأمير عبدالقادر وأسئلة الجنرال أوجين دوماس

تمهيد:

لقد سبق لنا الإشارة بأن الغزو الفرنسي للجزائر يعتبر حلقة من حلقات الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، وان الغزاة الفرنسيين لم يخفوا دافعهم الديني أثناء إعداد وتنظيم حملاتهم العسكرية على الجزائر.

لذلك تعاونت فرنسا مع رجال الدين المسيحيين لإخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وإدخالهم في الديانة المسيحية، وفي هذا الإطار أسر بيجو 250 طفلا من اليتامى وسلمهم لأحد القساوسة طالبا منه تنصيرهم بالقول " حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار ".

كما استغلت فرنسا مجاعة 1867-1868م في عملية تنصير اليتامى مقابل تقديم فتات الخبز لهم، و لبسط نفوذها عملت على توظيف بعض رجال الطرق الصوفية عن طريق بعض الفتاوى المغلطة (نازلة) مثل النازلة التي استغلها ليون روش 1841م للحد من مقاومة الأمير عبد القادر ونازلة قورارة 1893م.

المبحث الأول: سياسة فرنسا والجنرال بيجو في المجال الديني:

تطرقنا سابقا الى ملامح السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الديني، و خصوصا استهداف المؤسسات و الرموز الدينية كالمساجد و المدارس القرآنية والزوايا، وسنواصل الحديث عن هذا الموضوع خاصة فيما يخص السيطرة الفرنسية على الشأن الديني و توظيف الفتوى والوظائف الدينية خدمة لسياستها ، نذكر منها على سبيل المثال:

1 – السيطرة على الأوقاف:

بعد الاحتلال مباشرة سيطرت فرنسا على أوقاف الجزائريين التي كانت مصدر رزق الفقراء، وطلبة العلم، ومصدر توريد للمساجد والزوايا والمدارس، فغصب هذه الأوقاف ونهبها يعني بطريقة غير مباشرة ضرباً للتعليم الجزائري الممول بالأحباس ومساساً بالنسيج الاجتماعي بقطع رزق أهل الحاجة، فلا تجد تلك الأسر التي كانت تقتات من مداخيل الأوقاف ما يسد جوعها ويقضي حاجاتها، فضلا عن انتشار الآفات والموبقات[1].

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تحقيق وتعريب، محمد العربي الزبيري، منشورات، الجزائر: 2005، ص 242.

تم الاستيلاء على الأوقاف وإلحاقها بصندوق أملاك الدولة الفرنسية، بل تم إلغاء نظام الأوقاف الذي عرفته الجزائر في شكله الرسمي، بإلغاء المحكمة الحنفية التي كانت تتولى أمر توثيق الأوقاف والهبات تشجيعا للواهبين والواقفين لمضاعفة موارد الطبقة المعوزة.[1]

مبالغة في النكاية، جعلت الأوقاف تحت سلطان المبشرين لصالح التنصير، أما أملاك اليهود ودور العبادة لديهم فلم تمس، إلا المسلمين الذين كذبت عليهم فرنسا بأن تعطيهم الأمان والاستقلال في شؤونهم الدينية[2].

إن النتائج الخطيرة للاستيلاء على الأوقاف قد شملت مستويات عدة، منها ضرب التعليم الجزائري الذي يمول بالأوقاف، والمساس بالنسيج الاجتماعي بقطع رزق أهل الفاقة والحاجة، فلن تجد الأسر التي كان مصدر رزقها من مداخيل الأوقاف ما يسد جوعها ويقضي حاجاتها، فضلاً عن انتشار الآفات؛ وقد ذكر حمدان خوجة عند حديثه عن غصب فرنسا للوقف وأن من نتائج ذلك شيوع الجرائم بسبب البؤس والفقر، حيث قال :"...لأن البؤس كثيرا ما يؤدي إلى القيام بأعمال شريرة، ويدفع إليها ذلك الذي لولا الضيق والحاجة لما جنح وارتكب جريمة يبدو أن وضع أسرته البائس قد جعلها شرعية في نظره[3]. "

كما أدت سياسة الاستيلاء على الأوقاف إلى اختفاء الزوايا والمدارس، وإهمال المساجد، بجعل الناس لا يقبلون على التبرع للمساجد مما أدى إلى إهمالها وعدم صيانتها، لأنها أصبحت جميعا تحت نظر ومسؤولية السلطة الفرنسية، ماديا ومعنويا [4] .

إن من أهم الدوافع من الاستيلاء على الأوقاف الرغبة في الاستحواذ على الأموال، لتضخيم ودعم ميزانية الدولة الفرنسية، والخوف من أن يستعمل المسلمون المال الذي عندهم لاسترداد سيادتهم على بلادهم، وطرد فرنسا منها، لأن المال قوام الأعمال، والفرنسيون لم تغب عنهم هذه الفكرة وقد تجسسوا على المفتي ابن العنابي وحصلوا منه على تصريح يفيد أنه مستعد لجمع جيش وإعلان الجهاد ضد الاحتلال، كما كانت للداي حسين مراسلات سرية مع أعيان وعلماء البلد

[1] - حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق، ص239 - 240 ، و جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2009 ، ص36 ..

[2] - الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى الجزائر ط4 2009 ص101 وجمال قنان، المرجع السابق، ص.36

[3] – حمدان بن عثمان خوجة، المرجع نفسه ص242 ..

[4] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ، ص 97.

وعدهم فيها بالرجوع، وحثهم على الصبر والعمل على تحرير البلاد، فلهذا توجس الاحتلال وبادر إلى وضع يده على هذه الأوقاف التي تهدد وجوده[1]، وأحكم سيطرته على هذه المؤسسات الوقفية في شتى أنحاء البلاد.

2-السيطرة على القضاء:

تميز القضاء في الجزائر قبيل الاحتلال بالاستقلال والاستقرار، حيث كان قضاة المدن الكبرى يعينون من قبل الداي، وقضاة الأرياف تعينهم القبائل، وكانت توجد هيئة قضائية عليا تنظر في القضايا الكبرى والصعبة في صورة استئناف، وكانت أحكامها نافذة، وكانت العقوبات منحصرة في: التغريم، الضرب، الإعدام، أما السجن فلا يكون إلا في حالات نادرة.

اتجهت السياسة الدينية الفرنسية بعد الاحتلال إلى تقزيم القضاء الإسلامي تمهيدا للقضاء عليه نهائياً، بتقليص صلاحياته ومحاولة دمجه في القضاء الفرنسي، من خلال تأسيس هيئات للقضاء الفرنسي مثل: قاضي الصلح، والمحاكم الابتدائية، والمحاكم الاستئنائية، والمحاكم العسكرية، وألحقت الجنايات بالقضاء الفرنسي بعد نزعها من القضاء الإسلامي، ولم يبق له إلا النظر في الأحوال الشخصية، بل حتى المحاكم الفرنسية الاستئنائية تملك حق النظر في الأحكام المدنية المتعلقة بالأحوال الشخصية .

انتهجت فرنسا أيضا، سياسة ماكرة تقوم على أساس تنفير المسلم من القضاء الإسلامي وترغيبه في القضاء الفرنسي، عن طريق تعقيد إجراءاته القضائية، وتكثير اللوائح والبلاغات فيها، والبطء الممل في سير النوازل، وتوسيد مهمة القضاء ممن ليس أهلا لذلك، وإبعاد مراكز القضاء عن المتقاضين، وفتح باب التخيير للمتقاضين بين القاضي المسلم وبين القاضي الأوروبي[2]، وهذا ليس بغريب عن استعمار هدفه الاسمى محو مقومات الهوية.

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 5،ص159.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3 ،ص 131-132.

3-السيطرة على الإفتاء والإمامة:

نظرا لمكانة الامام والمفتي الاجتماعية ومالهما من تأثير على الجزائريين، حرصت الإدارة الفرنسية على اختيار رجال الافتاء والامامة وهذا وفق مقاييس الولاء لها، على حساب العلم والكفاية، إذ لا يعقل أن تطعم السلطة ثمرها من يعصي أمرها، فتتحول بذلك هذه المناصب من وسائل خادمة للدين ولمصالح المسلمين إلى وسائل لخدمة مصالح سلطة الاستعمار[1].

مبالغة في النكاية تدخلت سلطة الاحتلال حتى في فرض الدروس التي تدرس؛ حيث منعت دروس الجهاد، والتوحيد، وأجبرت المعلمين على تحفيظ القرآن دون تفسيره .فتكسب بذلك خطابا دينيا إلى صفها، وتأمن من شيء اسمه خطاب التحريض والفوضى على الأقل في دائرة الوظيف الديني الرسمي[2]، وبهذا أحكمت سيطرتها على هذه المؤسسة الدينية الفعالة وضمتها الى صفها، وجعلت منها أداة لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية.

4-السيطرة على شؤون الحج:

استغلت فرنسا شعيرة الحج، وجعلت منها موطنا للابتزاز والتضييق، ووضعت العراقيل أمام المسلمين الجزائريين تجاه هذه الشعيرة، باشتراط شروطا تثقل كاهلهم، وتتنافى مع عقيدته ودينهم[3].

من بين الشروط المشترطة لطلب التأشيرة لأداء مناسك الحج:البراءة من التهم والإجراميات المدنية والسياسية، إنه شرط يتعارض مع أحكام الشريعة، لأن المجرم الذي يريد التوبة من أحوج الناس حاجة للحج ليكفر الله له سيئاته، وكذلك المجرم الذي يتعاطى الخمر والزنا ليس مجرماً في نظر فرنسا، ومنه يمكن له الحج، وتولي الوظائف الدينية، لأنه ليس من زمرة المجرمين في نظرهم.

بهذا ابتدعت فرنسا أحكاما لاصلة لها بالشريعة الاسلامية والمبادئ الدينية خدمة لأهدافها الاستعمارية.

---

[1] – المصدر السابق ، ج3 ،ص 89.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 3، ص 20.

[3] –محمد البشير الإبراهيمي، أثار محمد البشير الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ج3 ص 75.

المبحث الثاني: "نازلة الاستعمار " في مهمة ليون روش 1841م

1- مولد ليون روش ونشأته:

ولد ليون روش بمدينة غرونوبل الفرنسية بتاريخ 27سبتمبر 1809م، نال شهادة البكالوريا سنة 1828م، ثم دخل معهد الحقوق في غرونوبل، تميز بالطموح والرغبة في المغامرة، كان والده ألفونس روش ملحقا بخدمات العتاد العربي في الجزائر منذ الحملة الفرنسية في جوان 1830م، عمل في المجال الفلاحي في ضواحي الجزائر فكون مزرعة في سهل متيجة، انتقل ليون الى الجزائر سنة 1832م، واستقر وسط الأهالي الجزائريين وبقايا الأتراك والحضر.

في منتصف سنة 1832م قدمه أبوه الى شخصيات هامة ونافذة في الجزائر، فعرفه بالدوق دي روفيجو (حاكم الجزائر العام) ومسؤول المصالح المدنية جانتي ورئيس بلدية الجزائر كوتان، وعلى اثر ها عينه الدوق في هيئة الحرس الوطني برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة، وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة باتجاه منطقة الهضاب ومتيجة[1]، ويرجع تعلق ليون روش باللغة العربية وشغفه بتعلمها الى عاملين رئيسيين أولهما التمكن من التواصل مع أجراء والده في المزرعة وثانيا التحاور مع خليلته الجزائرية خديجة، فتعلمها على يد أستاذ جزائري مسلم اسمه عبد الرزاق بن بسيط فتمكن من اتقانها في أقل من سنة.

2- ليون روش مترجما

في سنة 1833م قدمت الى الجزائر اللجنة الافريقية الاولى للبحث في أحوال الجزائر وتقديم تقريرها للحكومة الفرنسية، وقام بعض أعضائها بزيارة والد ليون روش وعلى رأسهم السيدين بيسكاتور ولورانس[2]، تكفل خلالها ليون روش بمهمة الترجمة بين أعضاء اللجنة والعرب الحاضرين، وأدى ليون روش دورا بارزا في خدمة أغراض بلده وتذليل الصعاب أمام اللجنة من خلال شرح مصطلحات الملكية في الإسلام وتفسير الشروط المقترحة من الطرفين، غير أن ماتعلمه من اللغة العربية لم يكن كافيا لأداء المهمة على وجهها الكامل، ماجعله يكثف جهوده في تعلمها وإتقان مصطلحاتها، فسهر على فهم ألغاز الأسماء العربية

[1] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ،ص77.

[2] – يوسف مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832.1847، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 16.

والمصطلحات الاقتصادية والعقارية بمساعدة أستاذه عبد الرزاق الذي سهل له تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون والخصومات في الإسلام[1].

إن انكباب ليون روش على تعلم اللغة العربية لم يكن لمغازلة صديقته، بل لأن تعلمها سوف يدر عليه الأرباح الطائلة، فقد كان يتقاضى أكثر من ألف فرنك شهريا، ولخدمة بلاده التي كانت بحاجة إلى مترجمين أكفاء يكونون همزة وصل بين الفرنسيين والأهالي فحرص على إبراز شخصيته أمام عضوية اللجنة الإفريقية[2].

أمام نقص عدد المترجمين بالجزائر حيث لم يكن بها إلا أربعة مترجمين مؤهلين جيدا، استدعى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الافريقي من طرف الماريشال كلوزيل سنة 1835م.

رافق ليون روش المارريشال كلوزيل في حملته على المدية سنة 1836م، وما ان بدأ المارشال يتاخم ثنية موزاية حتى باغت العرب جيوشه فتصدى لهم النقيب جاستي رئيس فرقة الصبايحية فتغلب عليه العرب وهزموا جنوده، وسقط جاستي جريحا بين صفوف الجزائريين، ما أغضب المارشال وأمر ضباطه 17 بإحضاره وتحريره، وتمكن روش من إنقاذه بارداف على حصانه[3]، وأثبت روش مرة أخرى تفانيه في خدمة بلاده، ما رفع شأنه.

مرة أخرى يظهر تفاني روش في خدمة مخططات بلده الاستعمارية في الجزائر من خلال استغلال صداقته مع قائد البويرة سيدي محمد، حيث طلب ضيافته للتجسس وجمع المعلومات عن محمد بن حسين المرشح من طرف الجنرال دي ميشال باي على المدية، فأكد ليون روش عل عدم تعيينه على المدية لأن الأمر لايخدم المصالح الفرنسية، كون الجزائريين ناقمون عليه.

ازدادت طموحات ليون روش تجاه الحياة العسكرية ورغبته في أن يكون ضابطا في الجيش، وهو ما يثبت نيته في القضاء على الأهالي الجزائريين، لذلك خطط للالتحاق بجيش الأمير عبد القادر لمواصلة تنفيذ مخططات بلده الاستعمارية.

---

[1] _ يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 16.

[2] _ المرجع نفسه ،ص 17.

[3] _ نفسه، ص 18.

3- ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر (1837 –1839)

على اثر معاهدة تافنة في 30 ماي 1837م و بناء على بندها الرابع الذي ينص على " السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا ولهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير إلى الأماكن التي يحتلها الفرنسيون، أو من هذه الأخيرة إلى العيش تحت سلطة الأمير "[1].

قرر روش الالتحاق بجيش الأمير وبرر موقفه بعزمه على اعتناق الدين الإسلامي، ويقول روش في رواية أخرى أنه قرر الالتحاق بالأمير بهدف الوصول إلى عشيقته خديجة التي علم أن زوجها استقر بها في مدينة مليانة الواقعة تحت حكم الأمير.

في شهر نوفمبر 1837 عاد ليون روش إلى ولاية سيدي موسى وحمل متاعه في طريقه إلى مليانة، وكان المرابط سيدي بالقاسم قد سلمه رسالة يطلب له فيها الأمان من المرابط الحجوط ففتحت له الطريق ووصل إلى مدينة مليانة حيث كان يقيم صديقه عمر باشا.

في هذه الأثناء كان الخليفة محمد بن علال غائبا عن المدينة، فاتصل روش بنائبه وكاتبه قدور بن رويلة، وشرح له بأنه مسلم ويريد الالتحاق بالأمير وأهدى له مصحفا، فاستبشر قدور بن رويلة بإسلامه ووعده بأنه سيصحبه بنفسه إلى معسكر الأمير.

بدأ روش يتهيأ لملاقاة الأمير، فتعلم كيفية الصلاة وبعض تعاليم الإسلام، ورافقه قدور بن رويلة فعلا إلى الأمير وقد سأله خليفته محمد بن علال يطلب من قدر بن رويلة، استقبال ليون روش كفرنسي اعتنق الإسلام ويريد الدخول في خدمته، فقبل الأمير الدعوة وأستقل لأول مرة ليون روش وأجرى معه حوارا ، فأخبره أنه اعتنق الإسلام بكل إخلاص، ويريد أن يسمح له الدخول في خدمته وقال له أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر، ففرح به الأمير و قال له أن المسلم الحقيقي لا يكتفي بقوله أنه اعتنق الإسلام وإنما يجب أن يفهم ويعرف ما يجب ان يكون عليه المسلم المخلص[2].

بتاريخ 19 ديسمبر 1837 بدأ روش عمله الحقيقي كجاسوس، فبعث برسالة إلى أحد الفرنسيين تطرق فيها إلى شخصية الأمير عبد القادر والحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية له،

[1] – يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص23.

[2] – المرجع السابق، ص26.

ووصف له القبائل التي خرجت عنه (قبائل الجنوب) كما كشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والاستراتيجية.

أثناء إقامته في مدينة تلمسان شك فيه المسلمون واعتبروه جاسوسا فرنسيا ،فوضع عليه الخليفة البوحميدي عيونه، ولما أحس روش بذلك حاول الفرار ولكنه فشل، و قرر الخليفة إعدامه بادره روش تحت قناع الإسلام بأنه مسلم لا يجوز قتله إلا بأمر من السلطان فعفا عنه الخليفة وقرر إرساله إلى الأمير، وكان روش بعث برسالة ثانية إلى صديقه في شهر فيفري 1838، فصل له فيها النظام الإداري و العرفي الذي كانت تسير عليه قبائل غرب البلاد، وشرح له فيها ما عرف عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والدينية التي كان يمارسها الأهالي.

لما حضر روش أمام الأمير اشتكى له من ظلم وجور الخليفة البوحميدي ورجاله وقال " هكذا يستقبل مسيحيا اعتنق الإسلام بإرادته"[1]، فصدقه الأمير وعينه كاتبا له ومستشارا.

كان روش قد خرج مع الأمير في حملته على عين ماضي مع الأمير في 12 جوان 1838 لإخضاع قبائل الصحراء وتنظيمها تحت سلطانه، وكانت الطريقة التيجانية هي المسيطرة في هذه الأنحاء، وشاء القدر ان يعثر الأمير على رسالة للتجاني بعثها إلى أهل الأغواط يستنفرهم ضد الأمير مع رسائل أخرى إلى الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول له فيها ".... أن أشغل الحاج عبد القادر في تلك الجهة البحرية وأنا أكفيك أمره من جهة البر...." [2].

قد طلب روش من الأمير أن يرسله إلى التيجاني وعوض أن يؤدي روش مهمته الحقيقية لتحسين الوضع بين الأمير والتجاني، عمل على تحريض هذا الأخير ضد الأمير.

وهكذا يكون روش قد التحق بجيش الأمير في فترة كانت فرنسا تجهز نفسها إلى حملة انتقام واحتلال ضد قسنطينة، فكان عليها أن تركز كل جهودها لقمع المقاوم الجزائرية في شرق البلاد وفي هذه الآونة التحق روش بالأمير عبد القادر ليتجسس عليه ويلعب على ذقون المسلمين باسم الإسلام، فانخدعوا به وأطلعوه على جميع أسرارهم ومصادر قوتهم، وبهذا نقول بان روش أفاد بلاده سواء قد التحق بجيش الأمير من تلقاء نفسه أم كان ذلك بإيعاز م الضباط الفرنسيين.

[1] - المرجع السابق ، ص28.

[2] – نفسه. ص 29.

4- فتوى ليون روش وأثرها على حركة الجهاد الجزائري (الأمير عبد القادر):

لما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر في أواخر شهر ديسمبر 1840 خلفا للمارشال فالي، كان يحمل معه وصايا من باريس في صالح ليون روش، وقد أتى اليه بعد انتصاره في حملته على مدينتي تاقدامت و معسكر في النصف الأخير من شهر ماي 1841، ومن حينها بدا يفكر في نيل فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس، تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين وذلك قد تشتيت جمع المسلمين حل الأمير، فقد سمع بيجو قول الأمير عبد القادر أثناء مفاوضات تافنة "إنكم تتحدثون عن دينكم... لو كنتم مسيحيين... لكنكم من أحسن أصدقائنا، إذ ان القرآن... يأمرنا بالسلم... واحترام دين عيسى بن مريم..."[1].

لكن بيجو كرجل عسكري لم يكن له دراية بالأمور الدينية وكان يجهل سر قوة المسلمين، وكان روش هو الذي يعلم بأن قوة المسلمين تكمن في التمسك بدينهم لذلك عمل على إقناعهم بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب، وأن لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة ويقاتلوا عدو أكثر منهم عددا وعدة وقد تم اختيار ليون روش من طرف بيجو للقيام بهذه المهمة للأسباب التالية:

- إتقانه للغة العربية.
- اطلاعه على عادات وتقاليد المسلمين.
- علاقته الحسنة بكبار وشيوخ القبائل.

بتاريخ 19 جويلية 1841 سلم الجنرال بيجو لروش رسالة منه لقنصل فرنسا العام في تونس، يوصيه بمساعدة روش في القيام بمهمته السرية[2].

بعث روش برسول إلى التيجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها، وطلب منه أن يعمل على جمع كلمة رؤساء طريقته، خليفة الزيبان، وأولاد سيد الشيخ، لنيل موقفهم و قد استمر التيجاني بهذه العملية التي كان يرى أنها سوف تبعث الهدوء في نفس المسلمين الذين يحرضهم الأمير عبد القادر على الحرب ضد فرنسا[3]، وقد استدعى التيجاني مقدمي الطرق المحالفة له وأتفق

---

[1] – يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 40.

[2] – ليون روش، اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ترجمة وتعليق، محمد خير محمود البيقاعي، جداول للنشر و التوزيع بيروت 2011 ، ص 22 .

[3] – ليون روش، المصدر السابق، ص 39.

معهم على أن يطلب كل منهم من رئيس طريقته اختيار ممثل له للتوجه إلى القيروان[1] في 19 جويلية 1841 ، ولتدعيم هذه الفتوى واصل روش رحلته إلى الحجاز مرورا بمصر، وقد صادق علماء الأزهر وشريف مكة [2] و الطائف على محتوى هذه الفتوى ثم بعث روش بنصها إلى الجنرال بيجو[3] قبل نهاية سنة 1841.

وخلاصة هذه الفتوى " يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم بالقوة، وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم وأطفالهم، وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم "[4].

عمل الفرنسيون على توزيع هذه الفتوى على القبائل وشاعت أخبارها في القطر الجزائري وأعجب بها المسلمون الذين ضعفت قوتهم وفضلوا الراحة على الجهاد، وكتب الجنرال لاموريسيار من إقليم وهران الى بيجو يخبره بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين فتواروا عن القتال[5]، ولذلك كتب بيجو الى وزير الحربية، بتاريخ 23 نوفمبر 1841 يقول " لقد كان سفر روش الى مكة وانحراره وراء الحجاج امر لم أرضه، ولكن نظرا لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية المحضة فقد نال إعجابي وصالحته على السعي المحمود "[6].

بعد ذلك أعد بيجو خاتما نقش عليه الشطر التالي من الآية القرآنية الكريمة: ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[7]، استعملها في جميع مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين.

واصل روش مهمته في تشتيت المسلمين من حول الأمير واعتمد في ذلك على معارفه من أتباع الطريقتين التيجانية والطيبية اللتين تكنان عداء قديم للأمير، وكشف نشاطه خلال سنتي 1842-1843م ويرجع له الفضل في انتصارات الدوق دمال على زمالة الأمير في معركة وادي إسلي في شهر اوت 1844 ونال بذلك مكافئة المارشال له برتبة فارس فرقة الشرف.

---

[1] – يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص 41.

[2] – ليون روش ، المصدر السابق ، ص 136.

[3] – المصدر نفسه، ص 148.

[4] – يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص 41.

[5] – المرجع نفسه ، ص 42.

[6] – نفسه. والموضع نفسه.

[7] – سورة الأعراف الآية 128.

من الآثار السلبية لهذه الفتوى، أعجب بها بعض الضعفاء ووجدوها متنفسا للراحة والقعود، وقد اجتهدت فرنسا في توزيع الفتوى لتشمل مختلف مناطق الجزائر، عبر تعليقها على الجدران ونادى بها البراحون في الأسواق وكلهم يقولون " لا للهجرة الجماعية للمسلمين ولا لحمل السلاح في وجه الكفار ما داموا لم يتعرضوا للدين بالأذى، وما دام المسلمون عاجزين عن إخراجهم من الجزائر بالقوة[1] "

المبحث الثالث: مقاومة الأمير عبد القادر واستشارة العلماء في جهاده.

عمل الأمير بالمبدأ القائل " وما خاب من استشار"، فوسع دائرة مشاوراته الى علماء فاس والازهر والقرويين حرصا منه على عدم مخالفة الكتاب والسنة وحتى اجتهاد الفقهاء[2] "وتأكيدا لحجته وتوطيدا لمحبته[3]"، وقد أفاد ذلك كثيرا في تثبيت أركان إمارته وحماه من الصيحات الرافضة لما قام به بحجة عدم الالتزام بالدين وحيث كان يتعهد النوازل المشهورة، والفروع المأثورة من الكتاب والسنة، فكان بذلك حريصا على تقريب العلماء منه ومن حكومته لما لهؤلاء من دور فعال في الحفاظ على الدولة وتوازناتها، ولقدرتهم على التمييز بين الصواب والخطأ[4]، فكانت هذه الفتوى حصانة له، وإزالة لحجج المعارضين ولالتفاف الناس من حوله مجددا، راميا من ورائها ايقاظ ضمير الشعوب والاسلامية وحثها على اعلان الحرب على المستعمر.

1- استشارة الإمام التسولي:

إن من أهم الرسائل المستفتية، تلك التي أرسلها الأمير إلى العالم الشيخ الحسن علي بن عبد السلام التسولي الفاسي[5]، واتجاه الأمير في مثل تلك الظروف الحاسمة لعلماء فاس له

---

[1] – أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه(ل م د) في العلوم الإسلامية، شعبة الشريعة، تخصص، فقه وأصول، أولاد حمادي عبد الجليل، بعنوان النوازل المتعلقة بجهاد الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي جمعا ودراسة ، ص 166

[2] _ فوزي أوصديق، النظام الدستوري الجزائري، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 77

[3] _ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي،ط.2،دمشق، دار اليقظة العربية،1964 ، ص 316

[4] – إسماعيل زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث، ط.1، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع ،1999، ص 188

[5] - هو علي بن عبد السلام بن علي: أبو الحسن التسولي وهو من قبيلة (تسول) المغربية، فقيه من علماء المالكية تسولي الأصل والمولد نشأ بفاس ولي القضاء بها ثم بتطوان وغيرها، توفي بفاس سنة (1258هـ -1842 م)، له من المصنفات: البهجة في شرح التحفة ووثائق الزياتي، والنوازل، جواب على سؤال الأمير عبد القادر الجزائري في 33 ورقة موجودة في خزانة الرباط، أبي الحسن التسولي، البهجة في شرح التحفة، محمد بن عبد القادر شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1998م)، ص 03

رمزيته الدالة على التكافل بين أبناء المغرب على المستوى الروحي والفكري، مؤكدا على ثقة كبيرة فيهم تجعله يشركهم في قضاياه التي لم يعتبرها يوما داخلية بل تعني الجميع[1]، وكما توقع الامير بالفعل، أجاب التسولي بإسهاب حول كل القضايا التي طرحها الامير في خمسة مسائل وسنحاول عرض بعض استفسارات الامير واجابات العالم التسولي.

أ- قضية الجهاد:

استفسر الامير حول جواز معاقبة المتخلفين عن الجهاد، اذا استنفر الامام أو نائبه كل الناس دفاعا عن الدين والأرض، وتخلف هؤلاء وعن كيفية معاقبتهم[2].

حرص الأمير في طرحه هذا، الحسيس بخطورة التخلف عن الجهاد في الجزائر أو في غيرها من أقطار البلاد الإسلامية، سعيا منه لإشراك العلماء في قرارات مصيرية تتعلق بردع المتخلفين عن الجهاد، وقد جاءت إجابة التسولي واضحة ومختصرة كالاتي "الممتنع العقوبة في الدنيا والآخرة[3] " لقوله عز وجل: (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما)[4] مؤكدا له من خلال اجابته، أنه متى استنفر قوم وجب عليهم النفير وحرم عليهم التخلف، لأنه أمر الهي لا نقاش فيه.

ب- قضية الخيانة والتعامل مع العدو:

لقد تضرر الامير كثيرا من ضعاف الايمان، ومن الذين نجحت فرنسا في جلبهم الى صفها سواء بالترغيب أو بالترهيب، فأصبحوا يتعاملون معها دون تقدير الضرر الذي قد يلحقونه بوطنهم وأمتهم، في هذا سأل الامير العالم التسولي بقوله" حول حكم الله في الفريقين وأنفسهم وأموالهم[5]"، فجاءت إجابة التسولي واضحة بهذا الصدد: "وقد اتفقت الامة على أن فاعل المعصية يقاتل عليها ويحارب الا اذا أقلع عنها، لكون من رضي بفعل قوم فهو منهم وتابع لهم في الذنب والمعصية"[6].

ج- الامتناع عن دفع الزكاة:

---

[1] - محمد زنبير، دور الثقافة في بناء المغرب العربي الكبير، المستقبل العربي، عدد79، سبتمبر 1995،ص.53.

[2] - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق،ج1،ص310.

[3] - صالح عبد اللطيف محمد، أجوبة التسولي عن مسائل الامير عبد القادر في الجهاد، ط 1،بيروت، دار الغرب الاسلامي،1996ص 102.

[4] - سورة التوبة، الاية رقم 09.

[5] - صالح عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص 104.

[6] - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ج2، ص320.

شكل امتناع القبائل عن دفع الضرائب كلا أو بعضا، مشاكل جمة أهمها، ضياع مصدر أساسي كان يمول الجيش المجاهد المدافع عن الاسلام وهو ريع الزكاة، ويعود سبب هذا الامتناع الى زعم المطالبين بالدفع، لعدم توفر النصاب عندهم، رغم توفره عند البعض، فهل هو جائز شرعا احداث ضريبة معونة، تضامنا مع أفراد الرعية[1]، خاصة بعد ضعف الخزينة ، بفعل تزايد الضغط العسكري الفرنسي سنة (1225 هـ /1839 م) وتراجع القبائل عن الدفع.

فما حكم الدين في مانع المعونة ؟ وما حكم الدين في أمواله[2] ؟.

وافق التسولي الامير في أهمية هذا الأمر، و وضح له ضرورة مقاتلة مانع الزكاة أما عن المعونة فوضع لها شروطا أهمها: أن يوزع دخلها على الناس بعد أن يعجز بيت المال وأن يصرف بالعدل كذلك، وأن يكون الغارم قادرا عليها، من غير أن يسبب ذلك ضررا، شريطة أن يتفقد الامير أمر المعونة في كل وقت، وأن لا يمهل أمر مراقبة جبايتها والاوجه التي تصرف فيها.

بفضل هذه الفتاوى تجاوبت العامة مع الامير وارتفعت قيمة المعونة وهذا ما يؤكد لنا دور العوامل الروحية في تسيير المجتمع وتفطن الامير لها وليونته في التعامل معها.

د – قضية الصلح مع العدو:

أما فيما يخص الصلح مع العدو فتقول الفتوى بأنه: " بأنه يجوز فيما اذا كان العدو مطلوبا، لان الجهاد فرض كفاية، ولا يجوز اذا كان العدو طالبا، الا اذا دعن الضرورة اليه، للإبقاء على المسلمين وبلادهم والضرورة لها أحكام".

هـ – الهجرة:

أراد الامير بهذا السؤال، معرفة حكم الدين في الاقامة ببلاد احتلها الكافر، وكان رد التسولي بأن: " الهجرة من أرض الفساد واجبة، ولا فساد أعظم من ذلك"، ودعم اجابته بما قاله محي الدين بن عربي، في هذه المسألة حيث قال: " ان الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار السلام وقد تقررت فريضتها في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تزل باقية الى يوم

[1] - صالح عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص 104.

[2] - المرجع نفسه ص104.

القيامة[1] "، كما استفتى في الهجرة كذلك محمد بن عبد الله الطصفاوي التجاني، وربما هذا دليل على تفكير الامير في الهجرة منذ تلك الفترة في حالة ما اذا لم ينجح.

فرغ التسولي من هذه الفتاوى يوم: (الاربعاء العاشر من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف 1253هـ/1837 م)[2].

2 مراسلة الامام ابن عليش:

راسل الأمير عبد القادر علماء مصر، وعلى رأسهم الفقيه محمد عليش[3] وهذا في شأن المضايقات والأذى الذي تلقاه من سلطان المغرب، طالباً منه المشورة والنصح، والحكم الشرعي في مواجهة هذه المنكرات خصوصا مسألة طرده من قبل سلطان المغرب ورفضه له اثر اللجوء إليه، وقد عدد الأمير ما قام به سلطان المغرب تجاهه، حيث يقول " فكان من سلطان المغرب ما أضر بالمسلمين من خمسة أوجه:

الأول: أمكن لهم محاصرة العدو، ووضع الواردات ثلاثة أعوام، وعندما كان يحل به التلاشي أمده سلطان المغرب بألوف البقر وقوي بذلك شأنه.

الثاني: أنه غصب من أحد عمال المسلمين ألف وخمسمائة مكحلة انجليزية.

الثالث: أنه غصب من أحد وكلاء المسلمين أربعمائة كسوة من الملف.

الرابع: أنه أخذ بعض الإعانات، أعدت للمسلمين وقال، أنا أولى بها، ومنع من أرادوا الإعانة.

الخامس: أنه وقع خلاف بينه وبين الدولة الفرنساوية، ووقع له معهم قتال والتزم في شروط صلحه، بحل هذه العصابة المحمدية والضبط على رئيسهم، على أن يحبسه، طول عمره، أو يقتله ويمكن يد عدوه أو يجليه عن الارض وأرسل يأمرهم بترك الجهاد، ومنع عنهم الكيل، وأخذ يسعى في القبض على رئيسهم، وأمر بعض القبائل من رعيته، أن يقاتلوهم ويأخذوا أموالهم"[4].

---

[1] - محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ،ج2، ص326.

[2] - صالح عبد اللطيف محمد، المرجع السابق، ص 330.

[3] -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عليش المالكي المغربي، ولد سنة (1217هـ – 1802 م) بالقاهرة وتوفي بها سنة (1299 . 1881 م)، درس بالأزهر وتقلد مشيخة المالكية بمصر والإفتاء، له مؤلفات في الصرف والنحو والفقه منها (فتح العلي المالك في فتوى على مذهب الإمام مالك وقد أثبت فيه أحكام الفصول التي شرح فيها بجواب فقه الأمير).

[4] – محمد بن عثمان السنوسي، الرحلة الحجازية، ج3 ، ص 195.

وقد أجابه الشيخ محمد عليش موضحا أحكام الفصول، فأجاز له مقاتلته لسلطان المغرب، لأنه يعد مارقا عن الدين.

حرص الأمير عبد القادر من خلال استفتائه للأمام ابن عليش على تبيان كل ما لاقاه من سلطان المغرب، من كيد وظلم وخضوع هذا الأخير للمستعمر حتى يعرف رأي الشرع قبل اتخاذ أي موقف تجاهه أو مقاتلته، ولم يتوقف عند هذا الحد في مشاوراته، بل راسل علماء الزيتونة وكبار العلماء بالعالم الاسلامي.

المبحث الرابع: الأمير عبدالقادر واسئلة الجنرال اوجين دوماس:

جمع الأمير عبد القادر بين الإمارة وقيادة الجيوش والتصوف ومختلف فنون العلم والفقه، وقد سعى الفرنسيون وخاصة المستشرقون منهم، ممن عنوا بالإسلام والحضارة العربية الى معرفة مكانة الأمير العلمية واستشراف الإبعاد الدينية والاجتماعية التي يتوخاها من إقامة دولته بهدف توظيف جواباته الفقهية والمدنية، ومن امثلة ذلك اجوبته على أسئلة الجنرال الفرنسي أوجين دوماس.

1-شخصية الجنرال أوجين دوماس:

يعد أوجين دوماس من جنرالات فرنسا الذين اهتموا بالتراث الإسلامي والعربي وعملوا على نقده خدمة لأغراضهم الاستعمارية والاستشراقية، وقد اشتغل هذا الأخير مع الماريشال بيجو والدوق اومال ومع الجنرال لامورسيير بالغرب الجزائري، وكان قبل ذلك قد تعلم اللغة العربية وتعرّف الى ثقافة المنطقة وعاداتها وهو مأ أهله لتولي منصب قنصل لدى الأمير عبد القادر ثم أصبح المسؤول العام الأول عن العلاقات الجزائرية[1].

يعتبر دوماس من الجنرالات الذين اهتموا برسم خارطة توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية، واسندت له أيضا مهمة قمع المقاومة في منطقة القبائل بعدما سقطت زمالة الأمير تحت ايدي الاحتلال، وخلف الجنرال دوماس العديد من المؤلفات الاستشراقية الشاهدة على ارتباطه بهذه البلاد ومعرفته التامة بها، من أهمها (غزو منطقة القبائل، المرأة العربية، الخيول العربية، الصحراء الجزائرية)[2].

[1]-الأمير محمد بن عبدالقادر، المرجع السابق، ج2، ص273.

[2]-عمر بلبشير، النوازل الفقهية والتاريخ إمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل الجزائريين، ط1 النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017م، ص244.

قال عنه الأمير محمد بن عبد القادر «وهذا الجنرال من أكبر قواد الجنود الفرنساويين في الجزائر، الذين اشتهروا بالإقدام في حروبها العظيمة، ووقائعها الجسيمة مع الأمير، وكان تعين عنده وكيلا ب (أم عسكر) في المعاهدة الأخيرة، وتعلم اللسان العربي، واطلع على أشياء من أحوال أهل الوطن، فكتب أسئلة تتعلق بذلك، وبعثها الى الأمير، وطلب الجواب عنها"[1].

2-أسئلة دوماس وأجوبة الأمير:

اشتملت الأسئلة – عشرون سؤالاً-التي طرحها دوماس على الأمير عبد القادر جملة من القضايا الاجتماعية تخص المرأة العربية المسلمة في أغلبها وقد جمع تلك الأسئلة كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر واخبار الجزائر لولده "الأمير محمد"، ومن تلك القضايا مسألة التفاضل بين الجنسين وطبيعة العلاقة بينهما الزواج ومسألة الصداق وتعدد الزوجات وميراث المرأة وغيرها[2].

في سؤاله الأول الموجه للأمير سأل عن كيف يمكن للمسلم الزواج من امرأة دون النظر أليها قبل الدخول بها؟

كان رد الأمير أن السنة النبوية تبيح وترغب النظر الى المخطوبة ضمانا للألفة والادامة "...هلاّ نظرت اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما" وفي حال تعذر ذلك كان السؤال عن الأصل والأخلاق والجمال عن طريق الأقارب والجيران[3].

في سؤال آخر أنّ النساء المسلمات لا يدخلن المساجد على عكس النساء الأوروبيات اللائي يدخلن الكنائس ويتعبدن فيها مع الرجال[4]، فأجابه الأمير بما يتوافق مع طبيعة المرأة وما جاء به الشرع الحنيف، من أنّ الإسلام لم يمنع المرأة دخول المساجد خصوصاً في بداية الدعوة الإسلامية، وأنّ هذه الأخيرة كانت تصلي في مسجد رسول الله حيث قال صلى الله عليه وسلم " لا تمنعوا إماء الله بيوت الله" على ان يكون ذلك بشروط وضوابط شرعية كما أنه رغب لصلاتها في بيتها بقوله "وبيوتهن خير لهن"[5].

---

[1]-الأمير محمد بن عبدالقادر، المرجع السابق، ص161.

[2]-عمر بلبشير، المرجع السابق، ص251.

[3]-محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص161.

[4]-عمر بلبشير، المرجع السابق، ص249.

[5]-محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص180.

ذكر ابن الأمير في آخر تلك الأسئلة والاجوبة ان الغرض من ذكرها الرّد على سهام الطعن والتحامل على المرأة المسلمة من قبل الأقلام الاستعمارية المغرضة، وانّ الأمير قد اظهر الحق لأهله من العقلاء[1].

بالرغم من القيمة التاريخية والدينية لتلك الاسئلة الأجوبة، إلاّ أنّ هناك من شكك في حتها ونسبتها للأمير عبد القادر، كونها حملت في ثناياها بعض التحريف والمبالغة مثل اجابته على السؤال الثالث عشر المرتبط بتعليم المرأة الكتابة[2].

خلاصة:

لقد ركز المشروع الاستعماري أساسا على استهداف المجال الديني ومنذ الوهلة الاولى, وذلك من خلال السيطرة على المؤسسات والرنوز الدينية وتوظيف الفتوى, حيث استهدف في بداية الامر الاوقاف الاسلامية والتي كانت مصدر رزق للفراء وطلبة العلم ومصدر توريد للمساجد والمدارس القرءانية والزوايا .

[1]–محمد بن عبدالقادر، نفسه، ص185،

[2]–بديعة الحسيني، فكر الأمير عبدالقادر الجزائري "حقائق ووثائق"، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر2000، ص214.

الفصل الثالث:

نازلة الاستعمار في مشروع التوسع الفرنسي بالجنوب الجزائري

- ✓ **المبحث الأول: استغلال بعض الطرق الصوفية في خدمة التوسع الاستعماري**
- ✓ **المبحث الثاني: ظروف وحيثيات نازلة قورارة 1893.**
- ✓ **المبحث الثالث: اثر النازلة على المقاومة الشعبية بالجنوب الجزائري**

تمهيد:

في الجزائر تعددت الطرق الصوفية، وتباينت مواقفها تجاه الاستعمار الفرنسي، فمنها من رفضته رفضا مطلقا كالطريقة السنوسية مثلا، وهناك من أيدت فكرة الاحتلال بحجة نشر السلم والأمن والحضارة، وكذا عدم المساس بالقيم والمبادئ الإسلامية؛ إلى جانب سياسة الليونة والمهادنة التي استعملها الاستعمار تجاه شيوخ الزوايا والقبائل.

أمّا بالنسبة لموقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الاستعمار فإنّه موقف متباين يسوده التذبذب والاضطراب، ففيما ترى طائفة منهم ضرورة إعلان الجهاد، ومقاومة الاستعمار، وقضّ مضاجع المستعمرين، ترى على النقيض الآخر طائفه أخرى النكوص عن الجهاد، والركون إلى السلم والمهادنة.

المبحث الأول: استغلال بعض الطرق الصوفية في خدمة التوسع الاستعماري

1- مظاهر استغلال الاستعمار لبعض الطرق الصوفية في مشاريعه التوسعية:

سعت الإدارة الاستعمارية إلى استخدام كافة الأساليب في احتواء واستقطاب شيوخ الطرق الصوفية بالجزائر لإدراكها قيمة وأهمية نفوذهم في الجزائر، ومن جهة أخرى المخاطر التي يمثلها هؤلاء الشيوخ وزواياهم التي توصف ببؤر التعصب على مصالح ومشاريع الاحتلال الفرنسي[1]، خاصة فيما يتعلق بمسألتي كبح جماح المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، والمشاركة في إخضاع الأهالي المسلمين للسلطة الجديدة؛ من خلال توظيف التأثير الروحي والسياسي لهؤلاء الشيوخ على المجتمع الجزائري.

حرصت الإدارة الفرنسية على استخدام أساليب متنوعة في استدراج ولاء هذه الزعامات عن طريق المغريات المادية والهدايا والامتيازات وصولا إلى التعسف، بفرض رقابة على نشاط الزوايا

[1]- ليون روش، اثنان و ثلاثون سنة في رحاب الإسلام، , ترجمة وتعليق, محمد خير محمود البيقاعي, جداول للنشر والتوزيع بيروت. ص 130-131.

ومراقبة شيوخها والتضييق عليهم من أجل إخضاعهم لسلطتها، كما عمدت إلى استخدام الأساليب الملتوية قصد إضعافها وضربها ببعضها البعض؛ مثلما فعلت مع الطريقتين التيجانية والقادرية، بالإضافة إلى ذلك كانت المكاتب العربية تمارس رقابتها وسلطتها أيضا على هذه المؤسسات الدينية، بحكم إشرافها على شؤون الاهالي فهي الوسيط بين إدارتي الاحتلال والمجتمع الأهلي في الجزائر، وهذا ما أشار له قورجو عام 1836 بالمغرب بقوله: «بإمكانكم ان تحققوا أكثر بكثير في مكناس مع العرب بواسطة الأطباء والمرابطين أكثر مما هو بالمدفع والقنابل»[1].

ومن الضروري في هذا الصدد أن نشير إلى الوضع البيني الذي بلغته هذه الطرق فيما بينها، على غرار الطريقة الشيخية التي تعد امتداداً للطريقة القادرية، وقبل أنْ نُفصِّل في طبيعة تلك الوضعية من العلاقات والمواقف وجب أن نميّز بين هذه العلاقات في إطارها العام، فالموقف الشعبي الذي يمثله المريدون والأتباع ليس هو نفسه الموقف الرسمي، ففيما يرتبط بالموقف الأوّل فإنّ العلاقات بين المريدين لم تكن تشكل عائقاً في التواصل بين مختلف الطرق، ونجد أنّ هناك الكثير من أتباع طريقة معينة ينضمون إلى مقاومة المستعمر ضمن طريقة أخرى، ولا يشكل لهم ذلك عائقا او حاجزا يحول دون هذا التواصل.

في حين الموقف الرسمي . ونقصد هنا مقدمي الطرق الصوفية من بعضهم . فهو في أغلبه إمّا محايداً أو معادٍ، ذلك أنّ التنافس كان قائما بين مختلف الطرق كما أسلفنا، وقد انعكس ذلك الصراع على العامة الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم ويتفاخرون بشيوخهم، فيقع التعصب وتسوء الروابط وتتصدع الأواصر، وكان هذا الصنيع كثيراً ما يؤدي إلى وقوع خصومات بين أتباع هذه الزاوية أو تلك أو بين أنصار هذا الشيخ أو ذاك.

[1]- **قورجو**: شخصية فرنسية كلف بحضور مهمة فرنسية 1836-1936 بالمغرب. ينظر: عثمان زقب، السياسة الفرنسية الفرنسية في الجزائر 1830-1914 دراسة في اساليب السياسة الادارية، اطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، المشرف: صالح لميش، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014-2015، ص421.

وبذلك نجد على سبيل المثال أنّ أولاد سيدي الشيخ قد لعبوا أدوارا مزدوجة فتارة يكونون في مقدمة الثائرين في وجه الاستعمار الفرنسي وتارة أخرى يكونون تبعاً له وولاة يطبقون الأوامر الإدارية والتعليمات على أفضل ما يكون[1]، وهذا ما سنستدرجه بالتفصيل من خلال استعراض العلاقة بين الطريقة الشيخية وبعض الطرق الأخرى.

أ–علاقة أولاد سيدي الشيخ بالطريقة القادرية (مقاومة الأمير عبد القادر):

ينْسِبُ الكثير من المؤرخين وأهل التصوف أصول الطريقة الشيخية الى الطريقة القادرية، وكما هو معلوم فقد سبقت الأخيرة الطريقة الشيخية من حيث الظهور والانتشار في الجزائر، وقد رفض زعماء الطريقة القادرية الاستعمار الفرنسي في الجزائر من البداية وهو ما تجسد في مبايعة قبائل الغرب الجزائري للأمير بهدف محاربة الاستعمار وطرده، وفي ظل الإجماع الذي لقيه الأمير طلب من البوشيخيين (وهو من طريقة كانوا ينتسبون اليها اصلاً) الانضمام إلى مقاومته ومساعدته على العدو المشترك، فاعتذروا اليه بعزلتهم وعوزهم وفقرهم فقبل عذرهم وقبل أيضا مشاركتهم الرمزية أو حيادهم، ولعلّه قَبِل ذلك منهم مؤقتاً فقط الى حين توحيده بين الأعراش والطرق الصوفية[2].

وعن علاقة الشيخيين بالطريقة القادرية بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر، لا نقف ضمن المصادر المتوفرة عن روابط أو مواقف معينة بين الطريقيتين ؛ خصوصا وأنّ الطريقة القادرية تراجع نفوذها وتأثيرها لدى الكثير من القبائل في ظل غياب الشيخ الرمز والقائد.

ب–علاقة أولاد سيدي الشيخ بالطريقة الطيبية:

نشأت الطريقة الوزانية الطيبية بالمغرب الأقصى وينتشر أتباعها بصورة أكبر في الغرب والجنوب الغربي من الجزائر خاصة وهران، توات وقورارة، وعن علاقتها بأولاد سيدي الشيخ، يذكر المستشرق **روجي لوتورنو** أنّه في سنة 1876م عرض الحاج عبدالسلام الوزاني او وافق على التوسط لأجل إبعاد أولاد سيدي الشيخ عن الحدود الجزائرية بعد لجوء جزء منهم للمغرب عقب

[1]– عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 103.

[2]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص106.

المرحلة الأولى من مقاومتهم للاستعمار الفرنسي ما بين 1864-1871م، إلّا أنّ مهمة الشريف لم تحقق سوى نجاحاً مؤقتاً وغادر الجزائر مستاءً للغاية[1].

وفي سنة 1881م برز شريف وزان مرة أخرى على مسرح الأحداث، وعرض على وزير فرنسا في طنجة التخلص من بوعمامة وسي سليمان زعيم أولاد سيدي الشيخ المستقرين في المغرب، وذلك بإدخالهما غرب المغرب بموافقة مولاي الحسن، وبالرغم من تحفظات القائم بالأعمال في طنجة فقد حاول إنجاز هذه المهمة خلال الربع الأخير من سنة 1881م، إلّا أنّه فشل في ذلك كونه لم يتمكن من إلقاء القبض على بوعمامة. [2]

غير أنّه سرعان ما توحدت نوايا وأطماع الشيخيين والطيبيين في أواخر القرن 19 وخاصة منذ 1883م في تمهيد الطريق للفرنسيين في الصحراء، وعندما قدم شريف وزان سنة 1891م لزيارة زواياه ومقدّميه في توات وقورارة وهي تابعة لهم إداريا كانوا على رأس الموكب (القوم) الذي استقبله، كما التقى زعيمهم قدور بن حمزة بالحاكم العام جول كامبون في المنيعة 1892م لنفس الغرض بدعوة سكان المنطقة الى عدم معاداة الفرنسيين.

ويرى حمزة بوبكر أنّ الشيخ بوعمامة وجد القبول نفسه والترحاب من قبل أتباع ومقدّمي الطريقة الطيبية التي كانت متواجدة في توات وقورارة، ومن قبل الطريقة الكرزازية التي كان يتواجد مركزها في بلدة بني عباس.

وكان الشريف عبدالسلام الوزاني واحدًا من الشخصيات المهمة التي أرسلها وزير الحكومة الفرنسية في طنجة سنة 1881 ليعمل قدر المستطاع على دعم شيوخ الطرق في الجنوب، فاتصل بسي محمد العربي الدرقاوي شيخ الزاوية الدرقاوية بالصحراء وتافيلالت وبسي سليمان بن قدور الذي كان متواجدا هناك في ملجئه.

ج- علاقة أولاد سيدي الشيخ بالطريقة السنوسية:

[1] -Roger Le Tourneau, L'Algérie et les Chorfa d'Ouezzane à la fin du XIXe siécle. in,revu de l'occident musulman et de la Méditerranée, n8, 1970, .unica. P155

[2] -محمد العمراني، " الجزائر والشرفاء الوزانيون في نهاية القرن التاسع عشر للمستشرق الفرنسي روجي لوتورنو"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 10، العدد02، 2019م، ص421.

كان مبعوثو الطريقة السنوسية يمرون بالشيخ فيزورونه ويطلعونه على أوضاع العالم الإسلامي خاصة في المشرق العربي، وقد فكر الشيخ أن يتوجه الى ليبيا أول الأمر إلّا انه عدل عن ذلك، ويذكر المؤرخ شارل روبير أجيرون أنّ الشيخ اللاجئ في توات كان على علاقة طيبة مع الحاج المهدي ولد باجودة مقدّم هذه الطريقة في عين صالح، حيث كان يأمل مساعدته والوقوف معه في الجهاد، وقد أبدى هذا الأخير موافقته لعدة أسباب منها: مواجهة الطريقة التيجانية التي كانت تعمل لخدمة الاستعمار الفرنسي، وكان ممثلوها يسعون للتوغل في الهقار ومالي. مما كان يشكل تهديداً لتواجد الطريقة السنوسية وأهدافها الرامية لتعبئة القبائل في مواجهة الاستعمار الفرنسي[1].

ويذكر سعد الله نقلاً عن **دوفيرييه** أنّ أولاد سيدي الشيخ قد ساعدوا الفرنسيين في القبض على محمد بن عبد الله (شريف ورقلة) رغم أنّ هذا الأخير كان مسنوداً بالطريقة السنوسية، وهي تعود الى نفس الأصول الصوفية التي يرجعون اليها[2]

وقد قامت حملة كبيرة في الصحافة وفي الأوساط الفرنسية في الجزائر خوفا من أن يكون لمقاومة 1881 ارتباط وثيق بالحركة السنوسية، ففي 1884م افتتح ديفييري عهده بمواجهة السنوسية، وصرّح الحاكم العام تيرمان لصحيفة الصباح الصادرة في 23 ماي 1985م، إنّ الحركة السنوسية تمثل أكبر خطر يهدد الجزائر. ومما رسّخ جانبا من هذا الاعتقاد لدى السلطات الفرنسية زعمهم بوجود رسائل موجهة من إسطنبول الى بعض أعيان الجزائر يدعونهم فيها الى الثورة والوقوف الى جانب الطريقة السنوسية.

واستقبل الشيخ بوعمامة وهو في دلدول الملازم الفرنسي بالات المكلف باكتشاف الصحراء وبرفقته محمد بن سي قدور سنة **1885**م، وقد تم اغتيال هذا الأخير ومرافقه شرقي عين صالح في شهر فيفري من سنة **1886**م على يد أحد أبناء بن باجودة من أتباع الطريقة السنوسية مما أدّى الى سوء العلاقة بين الطريقتين بعد تلك الفترة[3].

---

[1]– عبد القادر خليفي: المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، المرجع السابق، ص104.

[2] -H. Duveyrier. Les touareg du nord exploration du Sahara. Tom1. Imprimerai Dr J. CLAYR. Paris. P315.

[3]– عبد القادر خليفي: المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، المرجع السابق، ص105.

د- علاقة أولاد سيدي الشيخ بالطريقة التيجانية:

كان أولاد زياد[1] (البيض) يعيشون وسط أولاد سيدي الشيخ الثائرين فحاربوا الى جانبهم، وقد طلبوا ربما بإيعاز من الفرنسيين، من أحمد التيجاني التفاوض مع قيادة أولاد سيدي الشيخ، لفصلهم عن الثورة وعودتهم الى منطقتهم. فقام أحمد بالمفاوضات لصالحهم، وجاء أولاد زياد الى الأغواط ومعهم البعض من أولاد سيدي الشيخ حسب التقاليد العربية ودخلوا عين ماضي، فخرجت الاشاعات على أنّ ولدي التجاني قد انضما الى الثوار. ومنعاً لهذا الاحتمال، كما يقول **رين** قام العقيد دي سونيس باعتقال أحمد وأخيه البشير في أول فيفري **1869م**. وبعثهما الى مدينة الجزائر حيث سجنا، وبعد بضعة أشهر استسلم التجانيون من أولاد زياد.

وبعد ثورة بوعمامة ظهرت اشاعات جديدة مفادها أنّ أحمد التجاني قد تورط فيها، أو أنّه لم يمنع أتباعه من الانضمام اليها، وحامت الشكوك حول اعتقاله وبدل أن تنفيه السلطات هذه المرة، اكتفت بدعوته الى الجزائر للإقامة بها بعض الوقت، ومن هناك وتحت إشراف الفرنسيين كتب الرسائل الى إخوانيه ومقدميه يحذرهم من مشايعة الثورة، ولكي يبرهن على براءته حسب دعواهم طلب من هذه السلطات ارسال ضابط الى عين ماضي ليطلع على الأمور.

وفي سنة 1881م توجه أحد مقدمي التجانية وهو عبد القادر بن حميدة رفقة العقيد (فلاترز) دليلا لبعثته وقد قتل الاثنان وأرسل احمد التجاني الرسائل الى توات وعين صالح وبورنو وسوكوتو وغيرها لتقديم المساعدات للنفوذ الفرنسي، ونفس الأمر قامت به زاوية تماسين أيضا.

ويورد أبوالقاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر رسالة موجهة من الضابط الفرنسي فيرنان فورو الى محمد العروسي شيخ الزاوية التيجانية ببلدة قمار بتاريخ 12 جوان 1895م، وموضوعها هو أنّ فورو يخبر الشيخ العروسي عن رحلته الى بلاد الطوارق وما تعرضت له المنطقة من فتن ؛بسبب هجوم أنصار بوعمامة، وهو يريد بذلك توظيف سمعة

[1]-أولاد زياد، تعد احد اكبر القبائل الهلالية العربية في الغرب والوسط الجزائري، يعرفون بالشجاعة والانفة والاقدام، كانت لهم مواقف مشرفة في الجهاد ضد الفرنسيين حيث قاوموا الى جانب الأمير والشيخ بوعمامة .

الطريقة التيجانية؛ لتسهيل عبوره إلى غدامس من جهة ومن جهة أخرى إحداث الوقيعة بين زعامات الطريقتين[1]

1-محاولات إدارة الاحتلال استقطاب واستعمال الطرق الصوفية:

نجحت الإدارة الفرنسية في استقطاب الطريقة التيجانيه ضمن سياسة فرق تسد لضربها بمقاومتي الأمير عبد القادر باستغلال الخلافات الموجودة بين التيجانية والقادرية، هذا الخلاف الذي يصفه تلمساني بن يوسف بأنّه مظهر من المظاهر السلبية التي اتسمت بها المقاومة الشعبية في بداية عهدها، وجعلتها تفشل امام الاحتلال الفرنسي رغم التضحيات الجسام كونها تحمل في طياتها بذور فشلها[2].

ضمن هذا السياق المتعلق بالتعاون بين الطريقة التيجانيه وإدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، يذكر ليون روش[3] قصه تعاونه مع الطريقة التيجانيه في الحصول على فتوى من المجامع العلمية والإسلامية في القيروان والأزهر ومكة المكرمة؛ تنص على بطلان الجهاد بين النصارى والمسلمين، حيث يذكر هذا الأخير في بداية حديثه بأنّه عندما غادر نحو تونس التقى القنصل الفرنسي العام هناك، وسلّمه رسالة من الجنرال بيجو؛ وأنّ الهدف من مهمّته هو تقديم معلومات خاصة على المنطقة الحدودية وتونس، وأنّه في يوم مغادرته قد لبس لباسًا اسلاميا واستقر في زاوية تأسست لإخوان سيدي محمد التيجاني، مع اشارته الى مسألة مفادها بأنّ بايات تونس وعائلاتهم والقسم الأكبر منهم منتمون الى الطريقة التيجانيه[4].

---

[1]- ابو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص345.

[2]- بن يوسف تلمساني، الطريقة التيجانيه وموقفها من الحكم المركزي العثماتني بالجزائر 1782-1900، رساله ماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، اشراف: ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعه الجزائر، 1997-1998، ص156.

[3]- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص35.

[4]- ليون روش، المصدر السابق، ص6.

بانتهاء مهمته يشير ليون روش أنّه رجع الى الجزائر في 3 جوان 1842 بعد رحلته من المشرق الى أوروبا، ويحكي انه التقى بالحاكم العام ووالده ورفاقه واصدقائه المسلمين، وتحدث عن تأثير الفتوى وفضل الأطراف المساهمة في الحصول عليها، إذ يعلّق على ذلك بقوله يجب اولا استغلال النتائج السعيدة التي أحدثتها مسبقا على أرواح المسلمين الجزائريين، بإشهار فتوى القيروان والقاهرة ومكة من طرف اخوان الطريقة التيجانية لسيدي عقبه مولاي الطيب أولاد سيد الشيخ والتي مقدمها قد ساعد في الحصول على هذا القرار الهام[1].

كما تحدث ليون روش عن صديقه سيدي محمد التيجاني بالقول إنّه غالبا ما قدم لفرنسا براهين رائعة وتأثيرا دينيا كبيرا وولاءه الذي لا يتزعزع، حيث يذكر هذا الأخير أنّه حتى أثناء زيارته لطرابلس وتونس كان يستقبله أحد مقادم التيجانية والذي يجلب له قليلا من الهدايا[2].

إنّ هذا الكلام الذي يرويه ليون روش يبرز مسالة هامة مفادها بأنّ العلاقة بينه وبين زعماء الطريقة التيجانيه كانت تتجاوز الاطار الرسمي، لتصل الى ربط علاقات صداقة شخصية معهم بالتودد حتى إلى أطفالهم الصغار، في الإشارة الى بعض الباحثين ؛يشير بن يوسف تلمساني أنّ هناك عدة أسباب جعلت الطريقة التيجانية تتجنب الاصطدام بالاحتلال الفرنسي ومواجهته، من ذلك أنّها ناقمة من الحكم العثماني في الجزائر خاصة في أواخر عهده[3]، هذا ما جعل الشيخ أحمد التيجاني يدعو في كل مرة على الحكم العثماني بالزوال بقوله:؟«اللهم أزل ملكهم كما أزلت ملك المسلمين من اسبانيا»[4].

في هذا السياق تذكر فتيحة معمري في دراسات أخرى أنّ السلطات المحلية للاستعمار قد استطاعت ضمان ولاء عدد من النخبة الدينية المتمثلة في مشايخ الزوايا؛ مقابل حصولها على

[1]- المرجع نفسه، ص6.
[2]- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص197.
[3]- المرجع نفسه، ص198.
[4]- المرجع نفسه ، ص197.

امتيازات ومصالح اقطاعية لتسترسل لاحقا بقولها انه منذ 1880م فقدت الطرق الصوفية والزوايا دورها السياسي والشورى في المجتمع، اذ صارت وسيلة للهيمنة النفسية على المجتمع الجزائري لصالح الاستعمار[1].

قامت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بتوظيف واستعمال علاقاتها الودية مع الطريقة التيجانية حتى خارج الجزائر ضمن أطماعها التوسعية في غرب افريقيا؛ خاصه في مواجهة مقاومة شرسة من هذه الشعوب ولاسيما في منطقة الفوتا والسيغو عاصمه دولة احمدو، حيث أرسل قادة التيجانية رسائل توصية من فرنسا الى خلفاء الطريقة يحثونهم على التعاون مع الفرنسيين وفتح أراضيهم للتجارة وإبرام علاقات تجارية من شأنها أن تعود على الجميع بالفائدة[2].

إنّ هذا الأسلوب الذي انتهجته الإدارة الاستعمارية في الجزائر، قد حاولت تطبيقه على الطريقة القادرية وشيوخها، لكن هذه الأخيرة قبلت بفشل المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر باعتمادها سياسة فيها مزيج من الحذر والمواجهة، كنوع من المقاومة السلمية.

هذا الموقف المعادي من الطريقة القادرية للسلطة الفرنسية؛ لا ينفي مسألة مفادها أنّ هناك من شيوخها من خالف هذا الخط، وأنّ السياسة عكس هذا التيار بل وتقديم خدمات جليلة لها باعتراف تقارير الإدارة الاستعمارية، وأخصّ بالذكر شخصية محمد الطيب بن ابراهيم شيخ القادرية، الذي يشير في رسالته بأنّه خدم فرنسا بقلب صادق وأكثر من ذلك أنّه تحمل معاداة إخوانه المسلمين بسبب مواقفه[3].

---

[1]- معمري فتيحة، مظاهر الولاء وعدم الاستقرار في الاوراس ابان الفترة الكولنيالية 1900- 1930، مذكره ماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، اشراف: خمري الجمعي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011- 2012، ص15.

[2]- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 198- 199.

[3]- المرجع نفسه ، ص198-199.

وفي مراسلة مؤرخة في 23 جويليه 1960 من الطيب ابراهيم شيخ الطريقة القادرية بورقلة؛ ورد فيها تأكيد على الخدمات الجليلة التي يسديها محمد الطيب بن ابراهيم الى سياسات فرنسا، خاصه في الصحراء التي تمنت ادارتها استغلال كفاءتها اكثر بشكل مباشر في توسعاتها بالصحراء الجزائرية، لذا ارتأت الاعلان عن تكريمه بتقليده فارسا وسام جوقه الشرف[1].

المبحث الثاني: ظروف وحيثيات نازلة قورارة 1893.

1- ظروف صدورها:

تشير الوثائق والمراسلات التي اطلعنا عليها أنّ الظروف والملابسات المتزامنة مع صدور نازلة قورارة؛ بأنها الصورة الثانية للهدف الفرنسي المرجو من إقامة مرحلة سلم بالجنوب الغربي الجزائري للتفرغ إلى مشاريعها الاستعمارية في السنغال ومالي وساحل العاج والكونغو وغينيا، بعد القضاء على جهاد الحاج عمر الفوتي[2] الذي كان هدفه الأسمى القضاء على تحالف القبائل والإمارات الوثنية، الموالية للاستعمار الفرنسي، وإقامة دولة إسلامية بعيدة عن نفوذ الاحتلال الفرنسي الكافر.

كما أن الحاكم العام الجزائر جول كامبون[3] كان لا يزال تحت تأثير زيارة الوفد البرلماني الفرنسي عام 1892م بقيادة جول فيري الوزير والرأس المدبرة للفكر الكولونيالي، حيث اغتنم

[1] – فتيحة معمري، المرجع السابق، ص15.

[2] - عمر الفوتي: هو عمر بن سعيد الفوتي من مواليد 1796 بمدينة هو لوار في فوتا تورو السنقال حاليا، احد كبار فقهاء الصوفية في الساحل الافريقي، قاد الجهاد ضد الوجود الاجنبي في الجنوب الغربي لإفريقيا، توفي سنة 1864. ينظر: عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص121.

[3] - جول مارتن كامبون: دبلماسي فرنسي من مواليد 05 ابريل 1845 بباريس، تقلد عدة مناصب منها حاكم عام الجزائر من 18 ابريل 1891 الى 01 اكتوبر 1897، توفي في 19 سبتمبر 1935. ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 507.

الجزائريون فرصة وجود لجنة جول فيري[1] بينهم سنة 1892م وتقدموا إليها بمطالب قوية، بما في ذلك تحوير نظام الضرائب وإصلاح التمثيل النيابي واستعادة القضاء الإسلامي، وفوق ذلك كله كما قال فيري فإن الجزائريين قد طلبوا من الفرنسيين أن " دعونا وحدنا "[2]، كما أن فرنسا الاستعمارية لا تزال تعيش حالة الاضطراب الذي عرفته أثناء ثورة بوعمامة 1881 – 1908.

هذه الملابسات كلها تركت سبيلها لإضفاء الدعاية الكبيرة على فتوى شيوخ الإسلام المؤرخة كما سلف ذكره في 22 جوان 1893م، وهي بذلك تسعى إلى كسب ود أعيان منطقة الصحراء وإدماجهم ضمن دائرة العائلات الكبيرة التي يسميها المؤرخون "أرستقراطية العصور الوسطى" أو الخيام الكبيرة أو النخبة التقليدية، فإنّ فرنسا قد نجحت في كسب العائلات الكبيرة و سحبت منها الغطاء السياسي والروحي والتمثيلي لدى الجماهير.

وقد عملت السلطات الاستعمارية على توسيع رقعة احتلالها بالجنوب الغربي وربطت المنطقة بالسنغال وبمناطق نفوذها فيما يعرف بإفريقية الغربية الفرنسية أو بلاد السودان الفرنسي.

أمّا حظّ فتوى شيوخ الإسلام في السنغال فقد أشارت وثائق الأرشيف الفرنسي إلى قوة الدعاية التي قامت بها فرنسا في السنغال من أجل مسح آثار جهاد الشيخ الحاج عمر الفوتي ودولته الإسلامية، الذي لا يزال يتردد صداها منذ نهاية الستينيات من القرن التاسع عشر، وهو النجاح الذي تحقق بالموازاة مع دور المبشرين والجواسيس والمكتشفين الأوروبيين والمستشرقين خبراء الاستعمار في تشويه صورة الإنسان الإفريقي بالمنطقة[3].

إنّ محتوى العمل الدعائي الذي قامت به دوائر الإعلام و الدعاية الاستعمارية، جديرة بالاهتمام كمرحلة ومنهجية متبعة ضمن أساليب الغزو والتدمير الذي قامت به الفيالق العسكرية الفرنسية، فما قامت به فرنسا أمام هذه النماذج الدعائية لكسب شرعية وجودها في

---

[1] - جول فيري: سياسي فرنسي من مواليد 1832، كلف بمهمة في الجزائر في اللجنة التي ترأسها وسمية بسمه مع مجموعة من البرلمانين الفرنسيين سنة 1892، ويعتبر جولفيري كبير منظري الفكر الكولينيالي، توفيا في سنة 1893. ينظر: سعيدي سوسن، لجنة جول فيري البرلمانية ومسألة الجزائر(1891-1893)، مذكرة ماستر، تخصص: التريخ الحديث والمعاصر، إشراف: سيدي صالح حياة، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2016-2017، ص15.

[2] - سعيدي سوسن، المرجع السابق، ص36.

[3] – عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص130.

ديار وأوطان المسلمين التي أبرزتها الوثائق تبرهن على الأساليب المحكمة المتبعة في غزو الأرض واستغلال الثروات وتحييد أو تشويه النخب المتعلمة الواعية كلها معا، وتحدد ملابسات إخضاع أقاليم ومناطق الصحراء الجزائرية إلى قوانين فرنسا الاستعمارية بشتى الأساليب وأحط الوسائل[1].

لقد كان الانتقام واتّباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر عامة وقصور الصحراء خاصة، انتقاما لقتلاها، وعدم استسلام أهالي المنطقة الذين دافعوا عن شرف قراهم وقصورهم ومدنهم بكل ما يدعو للتألم من صبر هؤلاء الرجال المجاهدين، وكيف قابلتهم فرنسا المتحضرة بمجازر لا تزال دماء شهداء إينغر الأولى والثانية وقصر باجودة الشامخ وهضبة تيديكلت التي تحدت الغزاة، شاهدة على جهاد أهل المنطقة دفاعا عن الدين والشرف والوطن[2].

من مبادىء الاستعمار الغربي الصليبي في بلدان العالم الإسلامي، العمل على تدمير أسس التقدم المعروفة عند شعوب هذا العالم المترامي الأطراف من طنجة إلى جاكارتا ومن غانا إلى فرغانة فهذا الفضاء الجغرافي الكبير، يشتمل على أجناس وألوان ولهجات ولغات متعددة، لكنها تاريخيا وفي إطار النمط الإسلامي كانت إلى مطلع العصر الحديث مسلمة دينا، عربية لسانا،

فلما دخل الاستعمار الفرنسي ضرب على أوتار هدامة بإحياء الجذور العرقية للشعوب، كما فعل في الشام بتشجيعه للنزعة الفينيقية[3]، والتي كانت أهدافها القومية الدعوة لإحياء اللهجات القديمة ومحاربة العربية لسان الثقافة الإسلامية، والقرآن العظيم، ونجح الاستدمار الفرنسي إلى حد بعيد في تكوين نخبة مسيحية في لبنان، فهيأها للحكم والثورة على الوجود العثماني.

الجزائر كانت بالنسبة للغرب الصليبي، البوابة الحديدية التي تحطمت على أسوارها الأطماع الأسبانية والفرنسية منذ دخولها ضمن دائرة الحضارة العربية الإسلامية، وقد تنبهت فرنسا إلى مكانة الجزائر الدولية في مواجهة الغرب الصليبي ومخاطر سقوطها على العالم الإسلامي في العصر الحديث.

---

[1] – عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي، ذاكرة الماضي في تاريخ اولاد القاضي، مرقونة قيد الطبع، بيد المؤلف. ص 511.

[2] – المرجع السابق، والصفحة نفسها.

[3] – يوسف الحكيم، سورية والإنتداب الفرنسي، دار النهار للنشر، بيروت، 1991، ص274.

احتلال الجزائر من طرف فرنسا الكاثوليكية لم يكن مصادفة أو مغامرة لتأديب الداي حسين الذي وبخ الدولة الفرنسية في شخص سفيرها دوفال اليهودي من خلال حادثة المروحة، الحقائق الثابتة هي أن استعمار فرنسا للجزائر قد شكل رأس الحربة لتمزيق العالم الإسلامي، ومن هنا يكون من المناسب القول إنّ سياسة فرنسا التوسعية في الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السنغال، ركزت على ضرب وحدة المنطقة وتمزيق نسيجها الاجتماعي والثقافي[1].

الحادثة قد تبدو – لغير المطلع على أسلوب الدوائر العسكرية الفرنسية – ليست ذات أهمية بالمقارنة مع أسلوب الدمار الشامل للفرق العسكرية الفرنسية في الجزائر والسنغال لتهدئة الأوضاع بعد احتلال اقليم قورارة في مطلع القرن العشرين 1900 وما صحبه من دمار شامل وهجرة جماعية لسكان إقليم توات التاريخي، بعد احتلال منطقة قورارة كانت الفرق العسكرية الفرنسية المرابطة في مدينة سان لوي بشمال السنغال تتهيأ لإفشال حركة عسكرية كبيرة بالمنطقة، وبالموازاة مع ما يحدث من تمشيط للجنوب الغربي الجزائري، وتتبع فلول القبائل الفارة من دمار المدفعية الفرنسية ووحشية وبربرية فرقها العسكرية حيث كانت الفرق الاستعمارية، تخشى عودة الاضطرابات إلى هذه المنطقة، فبدأت باستمالة أعيان المنطقة لتدجينهم من أجل نزع فتيل المقاومة وطمأنة السكان بإنسانية فرنسا التي جاءت إلى المنطقة بهدف إخراجها من دائرة العزلة، وربطها بسبل الحضارة والتقدم، بسياسة تهدف إلى أمرين أساسيين، العمل عل نشر النفوذ الفرنسي بالصحراء في هدوء، واجتناب المواجهة المسلحة إلى حين إدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم[2].

2– تعريف نازلة قورارة:

هي الفتوى المعروفة تاريخيا بنازلة قورارة، والتي يدعى انها أرسلت من أحد علماء المنطقة المدعو حامد سماحة محمد[3]، إلى شيوخ الإسلام بمكة المكرمة يطلب فيها حكم الشرع فيما إذا تغلب الكفار على "وطن من أوطان المسلمين" ولم يكن في وسعهم رد الإعتداء، كما أن المحتل الكافر لأرض المسلمين رغبهم في إقامة الصلاة، وشجعهم على اختيار إمام الصلوات الخمس

[1] – عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص241.

[2] – بلبشير عمورة، السجل التاريخي لشهداء الثورة التحريرية لولاية أدرار 1954-1962، منشورات جمعية مشعل التاريخ لولاية أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2014، ص18.

[3] - حامد سماحه محمد، هو الاسم الغريب والمركب من ثلاثة اسماء، يدل دلاله قطعيه على انه ليس من اسماء القورارين ولا التواتيين، ص 509.

والجمعة، وأنهم لا يستطيعون مغادرة أراضيهم لاستضعافهم وخوفهم من مشقة الطريق والإبتعاد عن الأوطان.

كما أنه وفي هذا المعنى بالذات أرسل حاكم الجزائر العام جيل كامبون نازلة في عام 1893 إلى نفس الشيوخ يستفتيهم حول شرعية وجودهم بديار المسلمين، إذا كانت السلطات الفرنسية لا تتدخل في شؤونهم الإسلامية، فهل يبيح الشرع إقامة مسلم تحت سلطة كافر.

وقد أجمع شيوخ المذاهب الإسلامية الأحناف، المالكية، والشافعية، على وجوب إقامة المستضعفين إذا أقاموا دينهم وشعائرهم مع الظروف المذكورة في النازلة الفتوى وكان الرد حسب الوثيقة مؤرخا في 22 جوان 1893م[1].

وبحكم الغموض في سرد الأحكام الفقهية المعروفة، وسوء فهم هؤلاء المشايخ مناط النازلة، فإن جيل كامبون حاكم الجزائر العام آنذاك استغل النازلة وروج لها بطريقة عجيبة، إذ أن النص المطّاط أعطى لفرنسا حججا مكنها من استعمالها لصالحها[2]، وتشير الوثائق الموجودة بأرشيف ما وراء البحر الخاصة باحتلال منطقة قورارة وتينقورارين وإقليم توات، والمراسلات المتبادلة بين حاكم إقليم وهران وحاكم الجزائر العام، والسلطات الاستعمارية في السنغال وبلاد الهقار والمستعمرات الفرنسية الأخرى، ساحل العاج، مالي، غينيا الفرنسية، والكونغو إلى ما كان يقوم به الإعلام الإستعماري لتحقيق أهداف فرنسا التوسعية، والسيطرة على السكان بأقل الخسائر الممكنة، وتحقيق أهدافها ومشاريعها الاقتصادية والعسكرية ؛مثل مد خط السكة الحديدية من المنطقة الغربية إلى ورقلة، ومنها إلى أقاليم الصحراء الشرقية وإحكام الطوق لاحتلال مدينة جنات ومحاصرة الزوايا السنوسية المناهضة للوجود العسكري الفرنسي في الصحراء، وهذا بتحالفها مع قبائل الهقار والقبائل العربية في شمال تشاد[3].

ويشير مؤرخ الجيل الدكتور سعد الله إلى هذا الأمر فيقول " كانت سياسة الدولة العثمانية الإسلامية وخوف فرنسا على الوضع الداخلي بالجزائر، قد أجبرت الحاكم العام جول كامبون على تزوير فتوى جديدة إشارة ربما لفتوى قورارة تثبط المسلمين الجزائريين ضد الهجرة وتقاوم

[1] - يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص52.

[2] - عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي، المرجع السابق.

[3] - عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص141.

تأثير السياسة الإسلامية أو الدعاية العثمانية في الجزائر، وجول كامبون كما سلف، هو الذي أمر بدراسة نفوذ الطرق الصوفية ومعرفة ما كان منها وطني أي نابعا من الجزائر، وليس له فروع أو أصول في المشرق، وما كان منها عالميا أو مشرقيا له فروع وأصول[1].

وكانت فرنسا الاستعمارية قبل ذلك قد استعانت بالجاسوس الشهير ليون روش متنكرا في الزي العربي الإسلامي الذي أرسل إلى أهل القيروان والأزهر ومكة والرباط قبل هذا، وجاء من علماء هذه الحواضر والدول بفتوى أعدتها مسبقا مصالح المخابرات الفرنسية، وختمت عليها أيدي علماء الإسلام الأعلام في الأماكن المذكورة سابقا، فعلقت على جدران المساجد، وقرئت في الخطب ونشرت في جريدة المبشر وسارت بها الركبان إلى الأرياف والآفاق، ونادى بها البراحون في الأسواق، وكلهم يقولون لا للهجرة الجماعية للمسلمين ولا لحمل السلاح في وجه الكفار ما داموا لم يتعرضوا للدين بالأذى وما دام المسلمون عاجزين عن إخراجهم من الجزائر بقوة[2].

إنّ هذا الجاسوس المدعو ليون روش، الذي تمكن البوحميدي المقرب من الأمير عبد القادر في جهاده ضد فرنسا الاستعمارية من اكتشاف أمره منذ مدة طويلة، قد استعان بشرفاء وزان من أهل الطريقة الطيبية في استصدار الفتوى المشهورة عام 1843م وهذا في أيام السفاح بوجو، كما أنه لما أرسل إلى مكة في نفس عام 1842م وافق على فتواه علماء مكة ومجلسهم الموقر الذي دعي إليه الشريف غالب حاكم مكة المكرمة، إلا محمد بن علي السنوسي[3] الذي رفض التوقيع على استسلام أبناء المسلمين المجاهدين في الجزائر، وهو ما ذكره ليون روش نفسه في كتابه الشهير اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام.

لقد حمل ليون روش نص الفتوى إلى علماء مكة ليوافقوا عليها، ومحتوى النص هو دعوة الجزائريين إلى الكف عن حرب الفرنسيين ما داموا قد سمحوا لهم بالعبادة، ومن المعلوم أن روش قد روى بنفسه في كتابه القصة، وكيف ذهب إلى مكة ومن رافقه من مقدمي الطرق الصوفية

---

[1] – عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي، المرجع السابق.

[2] – يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص43.

[3] – محمد بن علي السنوسي بن العربي: يعرف بالسنوسي الكبير ولدسنة 1787 بمدينة مستغانم الجزائرية، رجل دين وصوفي مؤسس الطريقة السنوسية والأسرة المالكة السابقة في ليبيا، توفيا سنة 1859 في مدينة الجغبوب بليبيا، ينظر: ميلود بلعالية، مجلة عصور، ج05، ع02، ص ص108-132.

الجزائريين وكان ذلك عام 1842م، وقد اعترف ليون روش أن العالم الوحيد الذي عارض الفتوى في المجلس العلمي هو محمد بن علي السنوسي.

3- حيثيات نازلة قورارة:

ا- نص نازلة أهل قورارة.

يقول نص النازلة المرسلة من المدعو حامد سماحة محمد[1] ". . . ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم، ولم يتعرض لهم في أمور دينهم، بل يحثهم على إجراء أحكامهم الدينية، ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية، وجعل له معاشا وافرا يأخذه على رأس كل شهر، فهل مع هذا تجب عليهم الهجرة أم لا ؟ وهل تجب عليهم مقاومته ومحاربته مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار إسلام؟ بينوا لنا بيانا شافيا. . . "[2].

ب) رد شيوخ المجلس العلمي لعلماء الإسلام بالحجاز على النازلة.

قال شيخنا العلامة رحمه الله في جواب نحو المسؤول عنه المهاجرة واجبة من موضع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينه بأي سبب كان، ومن لم يقدر على ذلك يجب عليه الهجرة إن قدر عليها ؛بأن كان له مال يكفيه لمؤنة الانتقال، فقد قال الله سبحانه وتعالى في حق قوم أسلموا ولم يهاجروا مع تمكنهم من ذلك " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها "[3].

فلم يعذرهم ربهم مع استضعافهم بتمكنهم من المهاجرة إلى محل آخر إلا من استثنى في آخر الآية، قال تعالى: " إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان"[4].

والمعنى أن جهنم مأوى جميع من ترك الهجرة، إلا من هو استضعف من جنس الرجال والنساء والولدان، حال كونهم لا يستطيعون حيلة في الخروج لعجزهم وفقرهم ولا يهتدون سبيلا، أي لا معرفة لهم بالمسالك، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ترك الهجرة.

---

[1] - ينظر ص: 57.

[2] - يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص19.

[3] - سورة النساء، الآية 97.

[4] - سورة النساء، الآية: 98.

كذا قاله علماء التفسير، وقال صلى الله عليه وسلم: "من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض، استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلوات الله عليهم أجمعين"، وفي "معراج الدراية" عن المبسوط: البلاد التي في أيدي الكفار بلاد إسلام، لا بلاد حرب لأنهم لم يظهروا حكم الكفر، بل القضاة والولاة مسلمون يطيعونهم عن ضرورة أو بدونها، وكل مصر فيه ومن جهتهم يجوز له إقامة الجمع والأعياد والحدود. فلو كان الولاة كفارا يجوز للمسلمين إقامة الجمع ويصير القاضي قاضيا بتراضي المسلمين ويجب عليهم أن يلتمسوا واليا مسلما.

وفي "تنوير الأبصار وشرحه الدر المختار": لا تصير دار الإسلام دار حرب إلا بأمور ثلاثة بإجراء أحكام أهل الشرك وباتصالها بدار الحرب وبأن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمنا بالآمان الأول على نفسه.

قال "العلامة الطحطاوي" في حاشيته عليه: "و ظاهره أنه لو أجريت أحكام المسلمين و أحكام أهل الشرك لا تكون دار حرب. ".

فعلم مما نقلناه أنّه متى وجد قاض من المسلمين ولو بإقامة الكافر له، و أجريت أحكام المسلمين على ما وصف أعلاه، لا تخرج البلاد عن أن تكون دار إسلام.

و الله سبحانه أعلم ممن أمر برقمه، خادم الشريعة و المنهاج عبد الرحمان بن عبد الله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة كان الله لهما، حامدا مصليا مسلما[1].

[1] - عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي، المرجع السابق، ص 510.

المبحث الثالث: اثر النازلة على المقاومة الشعبية بالجنوب الجزائري

عندما وصلت الفتوى الى الاقليم اقتنع الأغلبية بها على راسهم جملة من العلماء الاعيان، كالفقيه سيدي مبارك بن عبد المأمون البلبالي والفقيه سيدي محمد بن عبد الحي بن احمد الخضير الوجداوي وسيدي أحمد بن عبد السلام وسيدي عبد الكبير بن محمد المطارفي والفقيه سيدي محمد الصالح بن علي بن عبد الله[1]، ولم يخرج ضدها من فقهاء قورارة الا القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الكريم[2] وابن اخيه الفقيه الاديب سيدي محمد الطيب بن محمد بن محمد عبد الله بن الجوزي وابن عمه الفقيه الشيخ محمد عبد الرحمن بن محمد عبد الله بن المحفوظ ابن الجوزي الحفيد الراشدي الملقب بالعالم.

هذه الفتوى الحجازية حطت من معنويات القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الكريم ودعاة المقاومة بالإقليم، محل الشك في مصداقيتهم الشرعية بين العامة والخاصة، وشكلت حاجزا فاصلا حبل التواصل بينهم وبين سائر الطبقات، وأضعفت فرص نجاح المقاومة الشعبية في صد الغاصبين للأراضي والمنتهكين للعرض في أعماق الصحراء، وهذا ما دفع بالقاضي الشيخ سيدي محمد عبد الكريم الى اصدار فتوى جديده تقتضي وجوب الجهاد في كافة أهل البلد ذكورا

[1] – محمد الامين بلغث، المرجع السابق، ص 134.

[2] - القاضي سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله من مواليد 1263هـ 1846م بقصر ادهمان بولاد سعيد، عالم وفقيه وصوفي متضلع في علوم الدين الاسلامي، مما اهله ان يتصدر علماء منطقته في عصره، عين قاضي على أولاد سعيد في 24 ذو القعدة عام 1309 هـ الموافق ل 20جوان 1892م، كان من بين الثمانية قضاة الذين عينتهم السلطة على توات من تبلكوزة الى عين صالح، لكن القاضي محمد عبد الكريم كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان شديد الصلابة فظا غليظا في الحق، وكان من بين العلماء القلائل الذين رفضوا الاحتلال الفرنسي، وحمل السلاح ضد العدو– ورفض الامضاء على وثيقة الاستسلام والولاء للفرنسيين وانضمام ملحقة تيميمون الى الجزائر العاصمة وذلك يوم 25 ماي 1900م وكان السبب المباشر والأول لجعل الاحتلال الفرنسي يراقبه ويلقي القبض عليه ونفيه الى قصر= =الشلالة بتيارت، وادخل السجن ثم حكم عليه بالإعدام و نفذ فيه الحكم في شهر فيفري من عام 1910م الموافق لشهر صفر من عام 1328هـ، ينظر: عبد الرحمان بن عبد الحي الجوزي، المرجع السابق، ص 517.

واناثا، وتلزمهم بالدفاع عن كل شبر بالنفس والنفيس والغالي والرخيص ولو افضى ذلك الى الضرب بالحجارة والنعال وجريد النخيل، وأكّد القاضي كل التأكيد على عدم تسليم البلاد للنصارى دون مقاومة وقتال، يقول عن ذلك الاستاذ شيخ الزاوية البادريانية سيدي الحاج عبد المالك الصوفي في كتابه البستان في اخبار زاويه بادريان ما نصه: ". . . وعندما اقترب النصارى من ارض تيقورارين اجتمع بزاويه بادريان شيوخ تيميمون والكاف واولاد سعيد والحاج قلمان وهم الساده الحاج احمد الطلحاوي والفقيه محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله بن الجوزي والقائد قويدر والداولحاج وحمو الزين للتشاور في كيفيه مقاومه الاستعمار الفرنسي تحت رئاسته فدعوا لعدم مقاومه الاستعمار لضعفهم وعدم طاقتهم على الدفاع ما عاد الفقيه السيد محمد عبد الكريم بن الجوزي الذي طالبهم بالمقاومة حتى النهاية فنفض اجتماعهم دون فائدة"[1].

1- رد فعل شيوخ وأعيان قورارة على النازلة والتصدي لأنصارها.

لقد شكلت النازلة تحدي كبير لمشايخ وأعيان المنطقة، دفعت العديد منهم الى العمل على محاولة إيجاد حل يثني السكان عن الإعتقاد بها، على غرار ما قام به القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الكريم الذي عمل على اقناع أهالي تلك الناحية شرعيا بفكرة وجوب المقاومة، والاستعداد لحمل راية الجهاد والدفاع عن الارض والعرض، في حالتي ما اذا ارادت فرنسا التقدم صوب الاقليم، واستطاع القاضي بفضل سياسته الحكيمة ترتيب الأوراق حول هذه المسالة بالذات، فأرسل الملوك والأعيان بغية تجهيزهم لهذه الغاية النبيلة، إلّا أنّ المساعي الحثيثة لدعاة النازلة وقفت دون تحقيق ذلك، بسبب إقناع عدد كبير من القبائل بالمنطقة، هذا الأمر بالذات هو الذي حمل القاضي على الاستنجاد بسلطان المغرب الحسن الأول لتقديم يد المساعدة للمجاهدين، وفتح الحدود الغربية للتفاوض مع قبائل تلك المنطقة؛ لإقناعهم بضرورة الوقوف مع أهالي توات لمحاربة العدوان الزاحف اليهم من الشمال، واشتد خوف القاضي على

[1] – الحاج عبد المالك الصوفي، البستان في اخبار زاويه بادريان، بحث مرقون، زاويه الشيخ سيدي الحاج الصوفي، بدريان تيميون. ص: 512.

قبائل المحارزة التي باتت تعاني وتشكو من مضايقات عملاء الاستعمار الفرنسي، فكتب القاضي ذلك كله الى السلطان المذكور فجاءه الرد في 11 جمادى الثانية عام 1309هـ الموافق 1892م على النحو التالي:

[. . . وبعد ما وصله كتابك بأنّ المحارزة كانوا قدّموا شكواهم لأعتابنا الشريفة متضررين من أولاد (فلان) خصوصا اولاد (فلان) بكونهم بما لا يرضي الله ورسوله طالبين من علي جنابنا أن نفتح لهم أبوابا نواحي والوادي وفجيج وكف اذى المذكورين عنهم وصار بالبال اما اولاد (فلان) فقد وقع الكلام مع حكامهم بكفهم عن ذلك[1] وأمّا ما طلبت من فتح ابواب؟ لهم تدوي مني ومن ذكرتم منهم فقد أصدرنا امرنا الشريف للمذكورين بعدم التعرض لهم وأكدنا عليهم في ذلك بما لا مزيد عليه والسلام في 11 جمادى الثانية عام 1309هـ/ 1892 م. . .][2].

ويجب القول هنا بأنّ هذه الخطوة كادت أن تتكلل بالنجاح لولا وفاة السلطان المذكور عام 1894، وخلّفه ابنه الطفل المراهق عبد العزيز المعروف عند المؤرخين بسلطان اللهو واللعب؛ الذي باع سبتة ومليلة للإسبان بدرّاجة هوائية، هذا الأخير خان العهد مع القاضي محمد عبد الكريم، ونقض الميثاق الذي أبرمه أبوه، فظل القاضي ومن معه من قاده المقاومة بالإقليم الى تفعيل فكرة طرحها قائد بودة سيد عبد القادر بن الحاج بلقاسم البداوي؛ الذي اقترح استغلال ظروف البرابر وابني محمد وتجهيز الجيش منهم، مع تعيين أجرة يومية لكل مقاتل، فاتفق الجميع على ذلك وحفظ الفكرة قولا وفعلا، يقول الضابط الفرنسي(ا. ج. ب مارتن) على ذلك ما نص: "كيف يحصل على نتيجة أكثر واقعية وهذا بمساعدة قاضي أولاد سعيد ومرابط تاسفاوت من ناحية قورارة يعرف باسم الحاج أحمد حيث استطاع جمع ما يقارب 400 رجل

[1]- الحاج عبد المالك الصوفي، المرجع السابق. ص 513.

[2]- تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات من الآيالة السعيدة من القصور ووثائق اخرى، المطبعه الملكيه، الرباط، 1962، ص69.

من البرابر وبني محمد، حيث وعدهم بإعطائهم اجر لكل فارس في كل يوم وهذا من أجل طرد الفرنسيين من الواحات] [1].

2- المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري بإقليم توات:

اختار الاستعمار الفرنسي بداية طريقه الدخول الى الاقليم من الجهة الجنوبية على عين صالح، مصطحبا معه جيشا معتبرا من العرب والأعراب المرتزقة الخائنين للدين والوطن؛ الذين جمعهم المستعمر من ورقلة ومتليلي والمنيعة، بعد اغرائهم بالمال وتقليد الأوسمة والترقية في الرتب والدرجات، هؤلاء هم من يعرف عندنا بالمهاريست أو القومية أو الصبايحية أوالسبايسية نظرا لخطورة الوضع جعل القادة المقاومون المدافعون على الارض والعرض كل جهة من الاقليم تدافع عن نفسها، مع تعيين القائد الذي يتولى زمام التخطيط للقتال وتنظيم الصفوف، ففي عين صالح مثلا كان مقدم الطريقة السنوسية الشهيد الحاج المهدي باجودة الذي استشهد في معركه الفقيقيرة قرب اقسطن، وفي معركه الدغامشة استشهد الشريف مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي العباس، لكن في هاتين المعركتين كان النصر حليف المستدمر الفرنسي مائة بالمائة، بسبب نقص التجربة العسكرية للمجاهدين المحليين، مما دفع الأعيان الى تغيير الاستراتيجية، بتكليف المغربي ادريس الكوري باشا تيمي ليقوم بجمع المتطوعين المجاهدين من جميع أنحاء توات الكبرى حتى وصل بهم العدد الى 1300 مجاهد مدججين بالسلاح فقصد بهم بلدة انغر دعما لإخوانهم المجاهدين هناك، وقد أبلى المجاهدون يومئذ بلاءً حسنا، وأظهروا استبسالا عظيما قبل سقوط البلاد في يد المستعمر ووقوع الباشا المذكور في الأسر، مع تسجيل خسائر فادحه في الأموال والأنفس، فلم يفرق فيها العدو الغاصب البغيض يومها بين الرجال والنساء، والأطفال والحيوان، راسلت فرنسا البقية من أعيان بلدان اقليم توات الكبرى تحثهم على الاستسلام والقاء السلاح، فحينها عقد القاضي لاجتماع المشار اليه سلفا في زاوية أخواله ببادريان، لكن عدم

[1] -A. G. P. MARTIN, OUATRE SIECLES, paris (1923),P358.

اتفاق الزعماء القورارين على مواجهة العدو وقتاله، جعلت القاضي محمد عبد الكريم يشق طريقا آخر لصدّ المحتل على التقدم صوب تيميمون، فاتصل بأعيان شروين وزاوية تاسفاوت والمطارفة وغيرهم، فتلقى منهم ترحيبا واستجابة وعزيمه كبيره لمقاومة الاستدمار، حيث شرع هؤلاء بتنظيم صفوف المقاومين من مختلف الجهات التواتية؛ ليتوجه صوب بلد فاتيس بتينركوك أين زحفت اليها جيوش الاحتلال قادمين من المنيعة والبيض، فالتقى الجمعان هناك من المقاومين يترأسهم ويقودهم القاضي محمد عبد الكريم الجوزي نفسه، لكن النصر كان حليف القوات الاستعمارية؛ لتفوقهم على المحليين في العدة والعدد والخبرة العسكرية وتطور السلاح، وانتهت بسقوط فاتيس التي دخلها المحتل دون أدنى مقاومة من أهلها، واتخذها الفرنسيون قاعدة عسكرية لهم، من خلالها تحققت لهم السيطرة على سائر جهات الإقليم بعد مدة من سيطرة المستعمر على تيميمون، وصل البرابر الى قورارة للمشاركة مع اخوانهم المجاهدين بقياده الداولحاج التيميموني؛ الذي كلف بمهمة احضارهم الى الاقليم قادمين اليه من تافيلالت وغيرهم من البلدان المجاورة لها، فنزلوا بداية في زاوية سيدي الحاج بلقاسم قرب تيميمون عند المجاهد سيدي الحاج محمد عبد الكريم الصافي، الذي كان بمثابة الذراع الايمن بالنسبة للقاضي، فهناك بالزاوية المذكورة اجتمعوا وغيرهم من قادة الاقليم ومعهم سائر المقاومين المحليين من أجل دراسة الخطة التي يتم بها الهجوم على مقر الثكنة العسكرية الفرنسية بتيميمون، وبالزاوية المذكورة ايضا وفد عليهم هناك قائد بودة محمد عبد القادر ابن الحاج بلقاسم البداوي مع جملة من المقاتلين من توات الوسطى بزاوية تسفاوت، قصد المضي مع المقدم سيدي الحاج احمد التسفاوتي لحضور الاجتماع بزاوية سيدي الحاج بلقاسم، يقول عن ذلك الضابط الفرنسي(ا. ج. ب مارتن) متحدثا عن قائد بودة بقوله: "اتخذ قرار الذهاب الى تيميمون حيث كان يجهل أنها كانت مقرا لمعسكر يحتوي على 300 رجل، وذهب من هناك الى تسفاوت (التي اتى منها المرابط)، ومنها سار ليلا الى زاوية سيدي الحاج بلقاسم، ثم انطلقوا في مسيرة أخرى مفاجئة الى تيميمون، وعند الوصول الى أسوار تيميمون انقسمت البعثة، ففوج دخل الأزقة التي تصل الى القصر،

وجزء من هذا الفوج لف حول القصبة نحو الشمال ليغزو القيادة، واستطاعوا السطو على مراكز ثكنات الضباط في غيابهم دون ان تطلق سافرات الانذار، وأضاف الضابط مارتن في سياق الهجوم على الثكنة العسكرية بتميمون قائلا: "في الواجهة الشرقية على بعد 60 مترا من الحظيرة تم بعث جندي الاستبدال الذي جاء بمحاذاة الحائط، وعند وصول ركن الحائط استدار حوله ليجد نفسه قبالة مجموعة من الغائرين، فقام بإطلاق طلقة نارية كإشارة وأسرع عائدا الى مركزه، خرج العساكر من الثكنة مع الشروق، وتقدم الى القصبة فاستقبل بطلقات من النار من طرف الغائرين الذين كانوا في المخزن، أدّى ذلك الى موت ضابط الإدارة جونكر، فأعاد العساكر تمركزهم بسرعه ونظم الدفاع تحت قيادة العقيد ريفال، وقد استلزم الامر ساعتين لاستعادة المخزن من يد الغائرين، في هذا الوقت قامت فرقة من هذا الفيلق بخرجتين لاستطلاع مكان وجود الأعداء، مماأدى ذلك الى موت القبطان كيزار وجرح القبطان اوجاري والضابط بوساردان، حتى تراجع أغلبية الأعداء واختفوا بين النخيل، فاستلزم الهجوم مجددا على بناية صغيرة تبعد حوالي 40 مترا من القصبة اين وجد حوالي 12 من البرابر الذين تم القضاء عليهم، قتل من الطرف الفرنسي المهاجم 10 عساكر من بينهم ضابطين وجرح 20آخرين، أمّا البرابرة فقد استطاعوا التراجع دون أن تتم ملاحقتهم وتركوا من ورائهم في الميدان مائة جثه. . .][1]، وبعد الهجوم على الثكنة بتيميمون على يد المقاتلين المدافعين عن الارض والعرض يقول النقيب مارتن بخصوص ذلك ما نصه [. . . قتال شروين والعميرة تطلب من الفرنسيين تجهيز للواء كامل بقيادة "سارفيار" في تمنطيط بما يفوق 200 بندقيه ومدفعين وذهب مع باقي قواه الى واحة شروين في 28 فيفري على الساعة الثالثة، لم تستطع القافلة المواصلة بقي اللواء في الخلف محمي من طرف الفرقة العاشرة لجنود البندقية، أنهكت ابل العدو الذي كان يحيط باطراف الواحة، واستقبلت الصفوف الأولى للعساكر بطلقات نارية، وعند وصول باقي المجموعة انتشرت المدفعية، وبدأ جنود البندقية بإطلاق النار على البرابر المختبئين في جنوب الواحات، بعد

[1] - A. G. P. MARTIN, op. cit. P358.

طلقات وضربات من المدفعية. . .][1]، حاولت فرنسا رد الصاع صاعين، وأخذ الثأر من المقاومين للحفاظ على ماء الوجه، ولكن بعد فوات الأوان، يقول عن ذلك الضابط الفرنسي مارتن [. . . على الساعة الخامسة جيش المشاة انتشر لمواجهة الحاشية الغربية للواحات وتم قصفها بالمدفعية ثم اسكتتهم بنيرانها. . .] [2].

وعن تفاصيل معركة شروين يقول أيضا الأستاذ الباحث المهدي تيطافي ما يل:(هنا يأتيه خبر انطلاق شرارة المقاومة بشروين تحت قيادة محمد عبد القادر قائد بودة[3] وقاضي أولاد سعيد[4] والحاج احمد[5] احد أعيان مرابطي تاسفاوت والذين استطاعوا تعبئة جيش قوامه قرابة 500 رجلا، وقاموا في البداية بهجوم مفاجئ ليلا على حرس تيميمون المكون من 300 رجلا، بعد الإنذار يرسل الجنرال سيرفير الى تيميمون مدعما ب300 بندقية ويتوجه بهم الى شروين مركز المقاومة والتي يصلها يوم 28 فبراير على الساعة 15 مساءا، حيث تبدأ المعركة والتي تتواصل يومي الأول والثاني من مارس ليتراجع رجال المقاومة الى عرق العميرة، حوالي 20 كلم شمال غرب شروين، تصمد المقاومة وتصد عدة هجومات مخلفة خسائر هامة لدى العدو، 25 قتيلا من بينهم ضابطان، و50 جريحا من بينهم 03 ضباط[6]).

---

[1] - A. G. P. MARTIN, op. cit, P360.

[2] - ibid, P362.

[3]- السيد محمد عبد القادر قائد بودة هو القائد محمد عبد القادر بن الحاج بلقاسم عين عام 1309هـ/1892م قائد اعلى كل من البلدان التالية: بودة تمنطيط – بوفادي – اعباني – علوشية–ودغا–نوم الناس – تازولت هذا ما ذكره الضابط الفرنسي مارتن في لائحة حكام الواحات في سنة 1892م، ينظر: A. G. P. MARTIN, op. cit, P103.

[4]- القاضي سيدي محمد عبد الكريم بن محمد عبد الله: سبقت الإشارة إليه. ينظر: عبد الرحمان بن عبد الحي الجوزي، المرجع السابق، ص 516.

[5]- يعني مقدم دار الزاوية المجاهد سيدي الحاج احمد بن الحاج موسى التاسفاوتي المذكور، ينظر: عبد الرحمن الجوزي، المرجع السابق، ص 516.

[6]- المهدي تيطافي، منطقة توات تقاوم الجنرال سارفيال وقواته الاحتلالية، مجلة النخلة، ع02، مجمع القروط، ص10.

يضيف الدكتور دحمان تواتي وآخرون بخصوص معركة شروين: (ويكفي أنّ المجاهدين تمكنوا من إصابة العدو في عمقه، حيث قتلوا الضابط راميلون Ramillon ومحمد بن الطيب نائب الطريقة القادرية بورقلة الذي كان يقود فيلق العرب القومية، والذي لم يكن عسكريا مسلحا وكان وجوده معنويا في فيلق العرب[1])، ويستمر القاضي في المقاومة بإقليم قورارة على نفس الوتيرة من العزيمة والإصرار والاستماتة والكفاح بالنفس و النفيس دفاعا عن الشرف والعرض في معركتي المطارفة وطلمين، ليختم جهاده بوقوعه في الأسر والاعتقال، وفي شهر فيفري من عام 1910م الموافق لشهر صفر من عام 1328هـ، يرتقي شهيدا بتنفيذ حكم الإعدام فيه من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي.

خلاصة:

سعت الادارة الفرنسية الى استقطاب شيوخ الطرق الصوفية لخدمة مشروعها التوسعي بالجنوب الجزائري , وقد نجحت في استغلال الخلافات الموجودة بين هذه الطرق, وفي هذا السياق استغلت فرنسا النوازل الفقهية لاستصدار فتاوى من علماء المسلمين في المشرق عن طريق عملائها, ونذكر في هذا الخصوص نازلة منطقة قورارة بالجنوب الجزائري وكيف استطاعت فرنسا أن توظف فتوى هذه النازلة وتجند لها دعاية ضخمة ليقتنع بها السكان, وهو ماتم , فقد أضعفت هذه الفتوى فرص نجاح المقاومة الشعبية بالمنطقة حيث امتثل لها الكثير من المشائخ والاعيان, في حين تصدى لها بعض الفقهاء وحثوا الناس على الجهاد ومقاومة المستعمر .

[1]– دحمان تواتي وأخرون، دور اقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص21.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية هذا العمل المتواضع الذي يتمحور حول السياسة الاستعمارية الفرنسية إبان احتلالها للجزائر، خلال الفترة الممتدة من عام ثلاثين وثمانمائة وألف إلى غاية عام تسعمائة بعد الألف ميلادي (1830-1900م)، غير أننا في هذا البحث ركزنا على النازلة وحسب، وذلك من أجل وضع قيود وضوابط لتأسيس التواجد الاستعماري بصورة غير مباشرة، ولضمان سلامة الأهلي وتجنب المواجهات والنزاعات التي قد تحصل بين الشعب والوافدين.

وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج في النهاية أبرزها ما ياتي:

1) إن فرنسا قامت بالاعتداء على مؤسسات الدين الإسلامي من مساجد وأوقاف ومدارس، منذ الوهلة الأولى رغم الاتفاقية المبرمة بين الداي حسين حاكم الجزائر والجنرال دي بورمون قائد الحملة الفرنسية.

2) لقد طال الهدم والتخريب كثيرا من المساجد أصاب أيضا وبالتبعية المدارس الملحقة بها، فقد أعلنت فرنسا حربها على الزوايا التي كانت من أهم المؤسسات التي تقوم على تحفيظ كتاب الله، وتلقين بعض العلوم الشرعية، بالإضافة إلى دورها في مجال العبادة وفي المجال الاجتماعي كانت كثيرا ما تقدم خدمات إلى العجزة و الغرباء من عابري السبيل، ومن الزوايا التي تعرضت للهدم أو البيع أو الحيازة، من قبل المصالح العسكرية و المدنية.

3) وتم تأسيس النوازل في صورة فتاوي كاستراتيجية جديدة لبسط السيطرة والنفوذ نظرا لأهمية الصحراء ولذلك خططت فرنسا لفصلها عن الشمال ؛ولأهداف استراتيجية كثيرة منها :أهداف اقتصادية إذ تعد الصحراء مكمن الثروات الباطنية من نفط وغاز ومعادن، وأهداف عسكرية من خلال جعل الصحراء موطناً للقوات

العسكرية الاحتياطية، ومن أجل الحفاظ على القواعد العسكرية التي أنشأتها فرنسا في الصحراء بغرض إجراء التجارب النووية والفضائية، أما بالنسبة للهدف السياسي.

4) لقد عمدت فرنسا كعادتها إلى توظيف بعض الرجال المحسوبين على الدين والفقه، لكسب قضية فصل الصحراء عن القطر الجزائري والمغرب ومالي، وأن تكون الصحراء منفصلة تحت راية فرنسا يسيرها الصحراويون بأنفسهم بزعمهم الكاذب وخديعتهم المكشوفة، فكلفوا بهذه المهمة القبيحة الذميمة الشنعاء بعض المفتين على رأسهم محمد محمود بن الشيخ قاضي تنبكتو صاحب أزواد، فذهب المفتي يجوب الأقطار الصحراوية لهذا الغرض.

5) إن النتائج الخطيرة للاستيلاء على الأوقاف قد شملت مستويات عدة، منها ضرب التعليم الجزائري الذي يمول بالأوقاف، والمساس بالنسيج الاجتماعي بقطع رزق أهل الفاقة والحاجة، فلن تجد الأسر التي كان مصدر رزقها من مداخيل الأوقاف ما يسد جوعها ويقضي حاجاتها، فضلاً عن انتشار الآفات.

6) نظرا لمكانة الامام والمفتي الاجتماعية ومالهما من تأثير على الجزائريين، حرصت الإدارة الفرنسية على اختيار رجال الافتاء والامامة وهذا وفق مقاييس الولاء لها، على حساب العلم والكفاية، إذ لا يعقل أن تطعم السلطة ثمرها من يعصي أمرها، فتتحول بذلك هذه المناصب من وسائل خادمة للدين ولمصالح المسلمين إلى وسائل لخدمة مصالح سلطة الاستعمار.

7) لقد استغلت فرنسا شعيرة الحج، وجعلت منها موطنا للابتزاز والتضييق، ووضعت العراقيل أمام المسلمين الجزائريين تجاه هذه الشعيرة، باشتراط شروطا تثقل كاهلهم، وتتنافى مع عقيدته ودينهم من بين الشروط المشترطة لطلب التأشيرة لأداء مناسك الحج:البراءة من التهم والإجراميات المدنية والسياسية.

8) سعت الإدارة الاستعمارية إلى استخدام كافة الأساليب في احتواء واستقطاب شيوخ الطرق الصوفية بالجزائر لإدراكها قيمة وأهمية نفوذهم في الجزائر، ومن جهة أخرى المخاطر التي يمثلها هؤلاء الشيوخ وزواياهم التي توصف ببؤر التعصب على مصالح ومشاريع الاحتلال الفرنسي خاصة فيما يتعلق بمسألتي كبح جماح المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، والمشاركة في إخضاع الأهالي المسلمين للسلطة الجديدة

9) استغل روش الطرق الصوفية وعلى رأسهم التيجانية في التوسع وخلاصة هذه الفتوى " يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم بالقوة، وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم وأطفالهم، وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم.

10) عمل الفرنسيون على توزيع هذه الفتوى على القبائل وشاعت أخبارها في القطر الجزائري وأعجب بها المسلمون الذين ضعفت قوتهم وفضلوا الراحة على الجهاد، وكتب الجنرال لاموريسيار من إقليم وهران الى بيجو يخبره بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين فتواروا عن القتال، ولذلك كتب بيجو الى وزير الحربية.

11) تشير الوثائق والمراسلات التي اطلعنا عليها أنّ الظروف والملابسات المتزامنة مع صدور نازلة قورارة؛ بأنها الصورة الثانية للهدف الفرنسي المرجو من إقامة مرحلة سلم بالجنوب الغربي الجزائري للتفرغ إلى مشاريعها الاستعمارية في السنغال ومالي وساحل العاج والكونغو وغينيا.

12) لقد استمر العمل هلى هذا الهدف بعد القضاء على جهاد الحاج عمر الفوتي الذي كان مقصده الأسمى القضاء على تحالف القبائل والإمارات الوثنية، الموالية للاستعمار الفرنسي، وإقامة دولة إسلامية بعيدة عن نفوذ الاحتلال الفرنسي الكافر.

13) عندما وصلت الفتوى الى الاقليم اقتنع الأغلبية بها على راسهم جملة من العلماء الاعيان، كالفقيه سيدي مبارك بن عبد المأمون البلبالي والفقيه سيدي محمد بن عبد الحي بن احمد الخضير الوجداوي وسيدي أحمد بن عبد السلام وسيدي عبد الكبير بن محمد المطارفي والفقيه سيدي محمد الصالح بن علي بن عبد الله..

14) لم تسجل الفترة مقاومة لدى فقهاء قورارة الا ما كان من جانب القاضي الشيخ سيدي محمد عبد الكريم وابن اخيه الفقيه الاديب سيدي محمد الطيب بن محمد بن محمد عبد الله بن الجوزي وابن عمه الفقيه الشيخ محمد عبد الرحمن بن محمد عبد الله بن المحفوظ ابن الجوزي الحفيد الراشدي الملقب بالعالم.

وفي الواقع ان الإحاطة بهذا الموضوع تحتاج توسعا فيه وأمدا طويلا بحيث يتمكن الباحث من الوقوف على كافة التفاصيل والحيثيات الممكنة، وذلك لا يتاح لنا بسبب الفترة الزمنية التي تحكم البحث أكاديميا، ونترك البحث مفتوحا لمن ياتي بعدنا ليتوسع فيه أو يقف على ما فاتنا ويصوب ما أخطانا فيه والكمال لله وحده، فإن أصبنا فهو توفيق منه وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

ملاحق

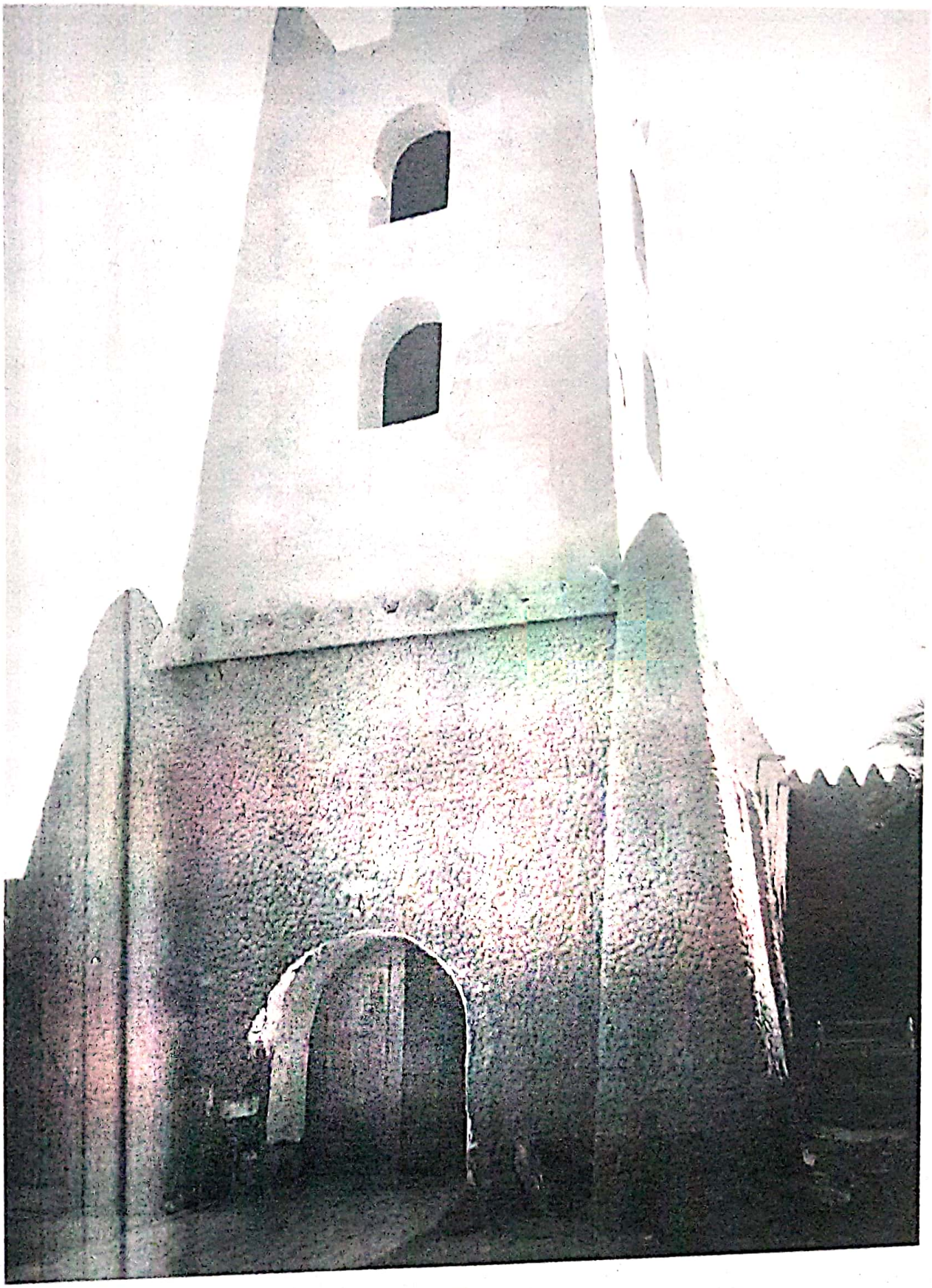

الملحق رقم 01: صورة خارجية لمدخل الكنيسة النصرانية بادرار
(المصدر: صور خاصة)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملحق رقم 02: صورة داخلية من وسط الكنيسة النصرانية بأدرار
(المصدر: صور خاصة)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

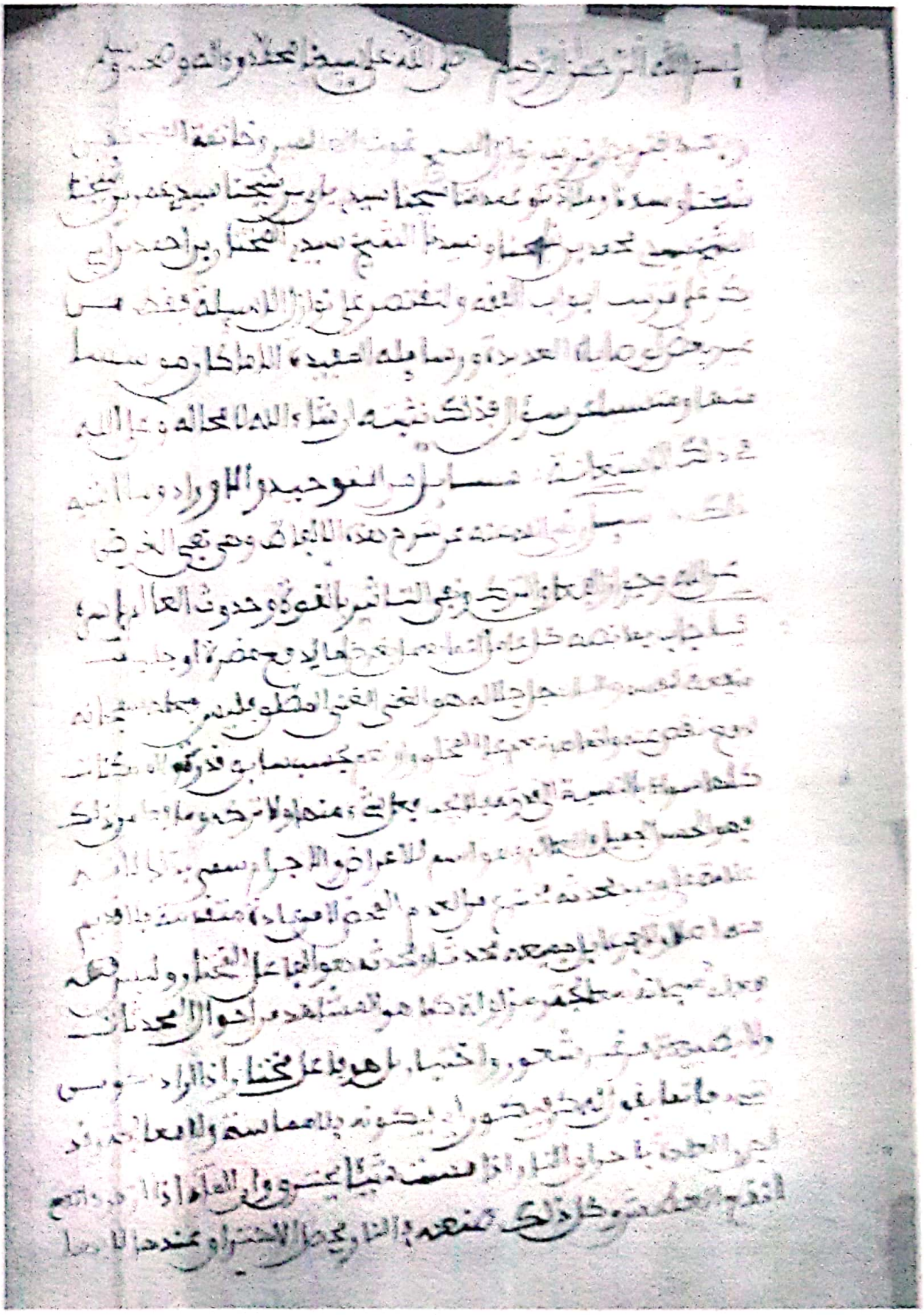

الملحق رقم 03: الصفحة الأولى من مخطوط نوازل الشيخ باي بن عمر بن محمد الكنتي
(خزانة مسجد مصعب بن عمير، أولف، أدرار)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

POPULATIONS DE

TIMIMOUN et de TINERKOUK

PAR LA MAIN DE LA FRANCE,

LA JUSTICE A FRAPPE.

Populations de ***TIMIMOUN et de TINERKOUK***

n'écoutez plus les mensonges de la rébellion barbare et criminelle.

يا سكان تيميمون

يا اهل تينركوك

على يد فرنسا عفوية الله

نزلت على المجرمين

ما تسمعوش لكذوب

الفتنة الغاشمة المجرمة

الملحق رقم 04: مناشير دعائية فرنسية موجهة لسكان الجنوب (المصدر: متحف المجاهد)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ – ح
الفصل الأول ملامح السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر دينيا	7
المبحث الأول استهداف المؤسسات والرموز الدينية	7
المبحث الثاني سياسة التنصير ومحاربة الدين الإسلامي	11
المطلب الثالث التلاعب بالقيم والمفاهيم الدينية	20
الفصل الثاني توظيف نازلة الاستعمار في بدايات الاحتلال الفرنسي	28
المبحث الأول سياسة فرنسا والجنرال بيجو في المجال الديني	28
المبحث الثاني "نازلة الاستعمار " في مهمة ليون روش 1841م	32
المبحث الثالث مقاومة الأمير عبد القادر واستشارة العلماء في جهاده.	38
المبحث الرابع الأمير عبد القادر واسئلة الجنرال اوجين دوماس	42
الفصل الثالث نازلة الاستعمار في مشروع التوسع الفرنسي بالجنوب الجزائري	45
المبحث الأول استغلال بعض الطرق الصوفية في خدمة التوسع الاستعماري	45
المبحث الثاني ظروف وحيثيات نازلة قورارة 1893.	54
المبحث الثالث اثر النازلة على المقاومة الشعبية بالجنوب الجزائري	62
خاتمة	70
ملحق	74
فهرس المصادر والمراجع	79
فهرس الموضوعات	82
ملخص على ظهر المذكرة	

ملخص:

تميزت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال بمنظوماتها المختلفة،الدينية،القضائية، التعليمية، الرامية إلى طمس هوية المجتمع الجزائري المسلم في إطار فرنسة الجزائر مجتمعا ومؤسسات وإزالة كل ماله علاقة بالهوية العربية المسلمة، وقد ارتكز اهتمام السلطات الاستعمارية في العقود الأولى من الاحتلال على الاستيلاء على المقدسات الدينية من مساجد وزوايا وأوقاف في كل المناطق، فقد أدركت فرنسا منذ الوهلة الأولى أن السيطرة على مثل هذه المقدسات تعني السيطرة على الشعب، وفي هذا السياق اعتمدت السياسة الاستعمارية على توظيف النوازل والفتاوى الفقهية في التصدي لكل ما من شأنه أن يعيق مشروعها التوسعي الاستعماري، وإشاعة هذه الفتاوى بين المسلمين الجزائريين للرضوخ والرضى بسياسة الأمر الواقع وبأن الاستعمار قضاء وقدر، بل أن محاربته تعد تهلكه ينهى عنها الدين. وأمام هذه السياسة الفرنسية المتعجرفة، كان للمؤسسات الدينية من زوايا ومساجد دور كبير في التصدي لها، فهي لم تكن أماكن للعبادة فقط بل كانت مراكز إسلامية للتربية والتعليم والوقوف ضد السياسة الاستعمارية الهادفة لتنصير المجتمع الجزائري وطمس معالم الهوية. يتناول الموضوع جانبا من جوانب السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الديني بالجزائر متمثلا في توظيف النوازل الفقهية خدمة للمشروع الاستعماري من سنة 1830 إلى سنة 1900، حيث تعتبر هذه الفترة من أصعب الفترات في تاريخ الجزائر المستعمرة، فقد شهدت ممارسات وسياسات جائرة تهدف جميع إلى طمس معالم الهوية الجزائرية والقضاء على الدين الإسلامي، وفرنسة الجزائر على كافة الأصعدة، كما تميزت أيضا بالمقاومات الشعبية الرافضة لمشروع الاستعماري.

كلمات مفتاحية: نوازل؛ استعمار؛ زوايا؛ سياسة؛ مقاومة؛ فتاوى.

Abstract:

The French colonial policy in Algeria was characterized by its various religious, judicial, and educational systems, aimed at obliterating the identity of the Algerian Muslim community within the framework of the French of Algeria, society and institutions, and removing all its money related to the Arab Muslim identity. Religious sanctities include mosques, corners and endowments in all regions. France realized from the first moment that controlling such sanctities means controlling the people. In this context, the colonial policy relied on employing calamities and jurisprudential fatwas to confront everything that would hinder its colonial expansion project. And the rumor of these fatwas among Algerian Muslims to acquiesce and be satisfied with the de facto policy, and that colonialism is a decree of fate, and that fighting it is considered to be its destruction that religion forbids. In the face of this arrogant French policy, religious institutions in the corners and mosques had a major role in confronting it, as they were not only places of worship, but were Islamic centers for education and standing against the colonial policy aimed at evangelizing Algerian society and obliterating the features of identity. The topic deals with an aspect of the French colonial policy in the religious field in Algeria, represented in the employment of jurisprudential calamities in service of the colonial project from 1830 to 1900, as this period is considered one of the most difficult periods in the history of colonial Algeria, as it witnessed unfair practices and policies aimed all at blurring the features of identity Algeria and the elimination of the Islamic religion, and the French of Algeria at all levels, as it was also characterized by popular resistance rejecting the colonial project.

Keywords: cataracts; colonialism; angles; Policy; resistance; Fatwas.